

الموضوع

أصول الإبستيمولوجيا عند روبير بلانشي

مذكرة مكتملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

أحمد حسن

إعداد الطالبة:

لمونس فاطمة الزهراء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلفه الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل
افتخار، إلى نبراسي الذي ينير دربي (أبي الغالي أدامه الله ذخرا لي).

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان والتفاني، إلى بسملة الحياة وسر الوجود.. إلى
من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب، إلى الظل الذي آوى إليه
في كل حين (أمي الغالية حفظها الله).

إلى الشموع التي تنير لي الطريق، إلى سندي الذي لايميل أبدا (إخواني أكرم، أشرف، مهند،
مؤيد حفظهما الله)

إلى من كان ظلي حين يلفحني التعب، إلى رفيق رحلة النجاح ومن كان مصاحبا لي أثناء
دراستي (صديقتي سهير ملياني ووثام عزوز)

إلى من لم تربطني بهم علاقة النسب، بل عطر الصداقة، وورد المحبة (صديقاتي سارة، فاطمة،
شيماء، إلهام، مروة، آسيا، وصال)

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى أستاذي
"أحمد حسن" وكل أساتذتي الأفاضل في قسم الفلسفة

أخيرا وليس آخرا أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من يتكبد عناء قراءته سواء لتقييمه أو
لنقده أو لزيادة علمه أو لإشباع فضوله وإلى كل من كان سندا لي من قريب أو بعيد.

فاطمة الزهراء

شكر و عرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

الحمد لله والشكر لله عزّ وجلّ لتوفيقه لي في إتمام هذا البحث.

أتوجه بجزيل الشكر وفائق التقدير والاحترام إلى الأستاذ الفاضل "أحمد حسن" لما

قدمه لي من نصائح وتوجيهات في إثراء هذا البحث.

ومن باب الاعتراف بالجميل أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل الأساتذة الذين رافقونا

طيلة مشوارنا الدراسي.

ختاماً نسأل الله العليّ القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يجعله

علماً نافعا، ويسهل لنا به طريقاً إلى الجنة.

مقدمة

يعد الانسان كائنا عارفا ومنتجا للمعرفة، ولذلك فقد احتل المبحث الذي يهتم بالمعرفة في مجال التفكير الفلسفي مكانة هامة ضمن انشغالات الفلاسفة وأبحاثهم، وقد نذبت الفلسفة نفسها منذ البداية من أجل البحث عن الحقيقة أو المعرفة الصحيحة، هذا ويطلق على دراسة المعرفة "نظرية المعرفة"، وقد عرفت بأنها الخبرة والمهارات التي يمكن للشخص أن يكتسبها من خلال الخبرة والتعليم، والفهم النظري والعملية لموضوع ما، وهي ثمرة التقابل بين ذات مدركة وموضوع مدرك، كما تطلق نظرية المعرفة على البحث في إمكان المعرفة البشرية وفي مصادر هذه المعرفة أو الطرق الموصلة إليها، وهي قديمة قدم الفلسفة ذاتها.

وتعتبر المعرفة بشتى أنواعها سواء أكانت فلسفية أو علمية أو وجدانية إحدى المشاكل التي طرحت باستمرار وعلى مراحل العصور، حيث لا يخلو أي تصور فكري من تصور عام للمعرفة، كما اهتمت المعرفة بحب الاطلاع والبحث والدراسة عبر العصور. يحسب البعض أن نظرية المعرفة أو الإستمولوجيا من المباحث الفلسفية المتخصصة التي لا يتأتى العلم بها لجميع الناس، والحق أن أهمية نظرية المعرفة لا تخفى ولا بد لجميع الناس من فهمها بوصفها الأساس الذي يمكن من خلاله قبول العلوم والمعارف والتعامل مع هذه العلوم، بل والتعامل مع الحياة بصفة عامة.

إن تحليل طاقات العقل وامكانياته في الوصول إلى عدة قواعد وقوانين صحيحة تضبط عن طريقها المعرفة، أي العقلانية النقدية كمحاولة جريئة منه لإعادة بناء حصن ميتافيزيقي مختلف وإقامة أسس إبستمولوجية جديدة اتخذت المعرفة موضوعا لها، لأن نظرية المعرفة احتلت أهمية كبيرة كونها تعد أحد أنواع الدراسات التي تأرجحت بين القديم والحدي في دراساتنا، وأيضا تكمن أهميتها في تحقيق الوعي اللازم لكي تكون أكثر واقعية، كون المعرفة بالأشياء تقتضي علينا التأكد من صحتها وإزالة اللبس المشكوك فيه.

لقد شهد العالم الحديث تطور المنهج التجريبي وظهور أنواع عديدة من العلوم لتثبت استقلالها عن الفلسفة وعن منهج التأمل العقلي، ليظهر ما يعرف بالعلوم التجريبية التي تهتم بدراسة الظواهر الطبيعية المحسوسة في إطار زمكاني معين، وباستخدام المنهج التجريبي القائم على الملاحظة والفرضية والتجريب.

كما حدثت العديد من التطورات العلمية في الكثير من الميادين كالرياضيات والفيزياء لها أثر كبير على الفكر البشري بوجه عام، وعلى حياة الانسان بوجه خاص، فبعد أن كانت تلك العلوم تتميز بقدر من المطلقية إلى درجة أن أصبحت قوانينها يقينية وثابتة بالضرورة لا يمكن أن يتسرب إليها الشك، فإنه مع مطلع القرن التاسع عشر حدثت نوع من الأزمة بين العلم الكلاسيكي والعلم الحديث، حيث ظهرت ثورات علمية ترتبت عنها نظريات جديدة مواكبة لما عرفه العلم من تطورات، لعل من بين أهمها ظهور ما يعرف بالإبستمولوجيا، هذه الأخيرة التي شكلت موضع اهتمام رئيسي لدى الفلاسفة والعلماء على حد سواء.

لقد تطور علم الفيزياء تطورا مذهلا بداية القرن التاسع عشر محاولا محاكاة تطور العلم الرياضي، وصاحب هذا التطور ظهور نوعين من الإبستمولوجيا: إبستمولوجيا كلاسيكية نيوتونية وأخرى معاصرة، وضمن كل منهما تصورات فلسفية معينة.

وتعتبر الإبستمولوجيا من العلوم النقدية الحديثة نسبيا، والمثيرة للجدل على الساحة المعرفية، كما أن الإبستمولوجيا تعبير عن موقف فلسفي جديد، يسعى صاحب الفكر العلمي الجديد إلى تأسيسه وتحديد أهدافه، فالإبستمولوجيا تعد اليوم من أمهات الموضوعات الفلسفية الأكثر حيوية، والأشد ارتباطا بالعلم، وتشابكا في نسيجه. وإنما المشهد الفلسفي الذي يعكس التبدلات العلمية في البناء المعرفي. وهي فوق كل هذا، المقياس الذي يكشف عن انتماء البناء الفلسفي إلى روح العصر، أو بالعكس يعلن عن اندراجه في خانة من خانات التاريخ الثقافي، لقد كانت الإبستمولوجيا عبارة عن خطاب نقدي في المعرفة، وأحد أهم المباحث الفلسفية

الأكثر حيوية والأشد ارتباطا بالعلم، وتعتبر بمثابة دراسة نقدية لمختلف النظريات العلمية، فمهمتها نقدية، أي أنها تنقد مبادئ العلوم.

كما أن الإبستمولوجيا ترددت في الكثير من الدراسات الفلسفية الغربية الحديثة والمعاصرة، ووظفوها في أطروحاتهم حول مواضيعهم التي تناولوها، وبذلك أصبحت الإبستمولوجيا تستحق الاهتمام، فأصبحت كثيرة الورد على ألسنة المتفلسفين مما جعل معناها يتسع أحيانا ويضيق أحيانا أخرى لكي لا يتميز عن العلم نفسه.

وفضلا عن ذلك فإننا نجد الكثير من الفلاسفة والعلماء عملوا على رفع الغموض عن مفهوم الإبستمولوجيا واطلعوا على مشاكل هذا العلم الناشئ، ومن بين هؤلاء الفلاسفة نجد "جان بياجى" الذي تميز بموقفه المتجاوز للاتجاهات المعرفية العقلية والتجريبية في تحصيل المعرفة، وتمكن من تجاوز التصور الكلاسيكي وأنشأ الإبستمولوجيا التكوينية التي تختص في دراسة موضوع المعرفة وأسسها ونقد مبادئها وبيان قيمتها وتحديد أصلها المنطقي، ونجد كذلك الفيلسوف الفرنسي المعاصر "روبير بلانشى" الذي اهتم بالإبستمولوجيا كنظرية في العلم بصفة عامة وبنظرية العلم الرياضي بصفة خاصة.

حيث إن الرياضيات عرفت تطورا وأحدثت ثورة علمية ومعرفية ضخمة أنتجت لنا جملة من المفاهيم والنتائج العلمية الجديدة، وهذا ما جعل في إعادة النظر في الإطار الإبستمولوجي الكلاسيكي لبناء معرفة إبستمولوجية رياضية جديدة، وهو بالضبط ما حصل مع "روبير بلانشى" الذي حاول تقديم قراءة تحليلية نقدية لتطور الرياضيات موضوعا ومنهجيا، واهتم بالبحث عن أفكار جديدة مغايرة للمفهوم الكلاسيكي، وهو صاحب العقلانية الرياضية المعاصرة، هذه الأخيرة التي تتخذ من نقدها للعقلانية الكلاسيكية مدخلا لعرض أطروحاتها التي تتوافق مع إفرازات الثورات العلمية أو ما يعرف بأزمة العلم الحديث، هذه كانت إبستمولوجية روبر بلانشى،

حيث تميزت ابستمولوجيته بضرورة التكامل بين العقل والتجربة أي الجمع بين ما هو عقلي وما هو تجريبي، وتقوم أيضا على تربيض العقل لذا أطلق عليها بالعقلانية الرياضية.

كما أن "بلانشي" يرى أن الإبستمولوجيا كمصطلح مستحدث لا يحيل إلى نظرية في المعرفة بقدر ما يحيل إلى نظرية في العلم، فهي دراسة نقدية لمبادئ العلوم، حيث إن عقلانيته المعاصرة تقودنا بعدها الإبستمولوجي إلى أنه يجب التسليم بعقل كلي وواحد وضرورة التكامل بين العقل والتجربة، ذلك لأن العقلانية الرياضية تتبنى وظيفة التصورات على خلاف العقلانية الكلاسيكية.

ونجد الطرح الآخر الذي قدمه "روبير بلانشي" هو حول أصول الإبستمولوجيا، إذ هذه الأخيرة كرسست تسميتها في مستهل القرن العشرين، ولكن نجد ممارستها النظرية قديمة جدا وتاريخ الفلسفة يشهد على ذلك، فعلى الرغم من أن الإبستمولوجيا بحسب "روبير بلانشي" كنظرية في العلم لم تكن معروفة ولا مستخدمة حتى مطلع القرن العشرين، إلا أن الثابت أن هذا اللفظ قد استخدم قبل هذا التاريخ بنصف قرن على الأقل، فكل ما ذكر في القديم يعتبر تمهيدا للإبستمولوجيا، فأصول هذه الأخيرة قد عرفت تطورا على مر العصور ومن هنا على وجه التحديد تأتي مقاربة "روبير بلانشي" التاريخية لمصطلح الإبستمولوجيا.

ونظرا للأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع، فإن الإشكال المحوري الذي قام عليه بحثنا

هو:

كيف كانت بدايات الإبستمولوجيا وما هي أهم التطورات التاريخية عند روبر بلانشي؟

تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من المشكلات الجزئية نعرضها كالآتي:

- ماذا نعني بالإبستمولوجيا وما هي أهم مشكلاتها؟ ما هو مجالها؟
- فيما تتمثل أصول الإبستمولوجيا عند روبر بلانشي؟

لقد حاولنا معالجة هذه الإشكالية وكذا مشكلاتها الجزئية بالاعتماد على الخطة التالية:

- الفصل الأول: كان عبارة عن إطار مفاهيمي وتاريخي للإبستمولوجيا، فعنوانه بـ "ماهية الإبستمولوجيا"، حيث تضمن مبحثين؛ الأول عالجت فيه مفهوم الإبستمولوجيا بدءاً بتعريفها وشرح مدلولاتها اللغوية وكذا البحث في مشكلاتها واختلاف مفهوماها من لغة إلى أخرى وتتنوع مشكلاتها إلى نوعين عامة وخاصة، أما المبحث الثاني تحدثت فيه عن منزلة الإبستمولوجيا وعلاقتها بالمجالات المعرفية الثلاث: نظرية المعرفة، فلسفة العلوم، علم المناهج، وكذا تحديد نقاط الاختلاف والاشترك بين كل واحدة منها مع الإبستمولوجيا.

- الفصل الثاني: كان بعنوان بدايات الإبستمولوجيا عند روبير بلانشي ويندرج تحته؛ مبحث أول قدمت فيه لمحة عن حياة "روبير بلانشي" ومسيرته العلمية والشخصية إلى جانب أهم مؤلفاته والجانب الفلسفي من حياته، أما المبحث الثاني فقد كان عنوانه الإرهاصات الأولية والتطور التاريخي للإبستمولوجيا عند "روبير بلانشي"، تناولت فيه التطور التاريخي لمفهوم الإبستمولوجيا عبر العصور بصفة عامة، وعرضت فيهم قاربة "روبير بلانشي" التاريخية لها - من خلال قراءته الإبستمية لأهم أعمال الفلاسفة الكبار - بصفة خاصة.

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدت على عدة مصادر ومراجع ذات صلة بالموضوع من بينها نذكر: مصدر "نظرية العلم (الإبستمولوجيا)"، ترجمة: محمود يعقوبي، ومصدر "الاستدلال"، ترجمة: محمود يعقوبي، أما بالنسبة للمراجع فقد تنوعت من كتب ومقالات ومعاجم ومذكرات من بينها: كتاب "الإبستمولوجيا، مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية" لصاحبه "عبد القادر بشته"، وكتاب "الإبستمولوجيا التكوينية" لصاحبه "جان بياجي".

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي والتاريخي الذي استخدمته في سرد أهم الآراء والأفكار التي جاء بها الفلاسفة عبر التاريخ، واستعنت به في الحديث عن أصول الإبستمولوجيا والتي تخدم موضوعنا، واعتمدت كذلك على المنهج النقدي التحليلي الذي غلب

في كل المباحث، وحاولت من خلاله قراءة الأفكار التي اقتبسناها من المصادر والمراجع، وذلك بتحليلها ونقدها من جهة، ونقد بعضها لبعض من جهة أخرى.

ولعل أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع تمثلت في أسباب ذاتية وأخرى

موضوعية:

حيث إن الأسباب الذاتية تتمثل في: انجذابي لهذا النوع من الدراسات المعرفية المرتبطة بفلسفة العلم، وفضلا عن ذلك ميلي إلى البحث في الفكر الغربي المعاصر والتقديم من خلال النقد والتحليل..، وكذا تحديد بداية ظهور لفظ الإبستيمولوجيا في الفكر الغربي المعاصر، وإبراز خصوصية الإبستيمولوجيا وتطورها عبر العصور وإبداعات دراساتها.

أما بالنسبة إلى الأسباب الموضوعية فهي تتمثل في: نقد العقل الغربي عند كبار الفلاسفة ونقد العقلانية الكلاسيكية عند "روبير بلانشي"، لأن عملية النقد قد تحيلنا إلى إعادة بناء هذا العقل وفق أسس ومقومات جديدة ومعاصرة، قد تؤسس لتحليل منطقي عقلاني يقوم على الموضوعية والابتعاد عن الأحكام الذاتية، بالإضافة إلى ذلك فهو مفكر عقلي معاصر اطلع على الفكر الغربي عند كبار الفلاسفة في العصر القديم والحديث من أجل تحقيق النهضة وإحداث ثورة فكرية إبستيمولوجية.

بعد كل هذا استطعت بعون الله وبفضل توجيهات المشرف ومساعدته لي إنجاز هذا البحث الذي يهدف إلى التعرف على أصول الإبستيمولوجيا عند "روبير بلانشي"، والتي من خلالها يمكن لنا معرفة كيف تطورت نظرية المعرفة العلمية أو بالأحرى نظرية العلم من العصور القديمة حتى الفكر المعاصر، بالإضافة إلى التعرف على مكانة الإبستيمولوجيا في الفلسفة بوجه عام، وتجاوز الفلاسفة المعاصرين لمفهومها الكلاسيكي بوجه خاص.

الفصل الأول

ماهية الإستيمولوجيا

المبحث الأول: الإستيمولوجيا مفهومها وأهم مشكلاتها

المبحث الثاني: علاقة الإستيمولوجيا بالمجالات المعرفية الأخرى

تمهيد:

لعبت التطورات العلمية دورا في الحياة الإنسانية، فعقب الثورة العلمية الحديثة التي نشر صداها آنذاك عرفت عدة تغيرات جذرية في ساحة العلوم، كونها حققت نجاحات قلبت كل الموازين مما جعلها تساهم في ميلاد نظريات جديدة تواكب العصر ومستجداته، ومن بين تلك النظريات نجد نظرية المعرفة التي كانت من أهم المشكلات وأبرزها كونها عرفت عدة تحولات في بحثها، وحاول كل من الفلاسفة والعلماء الأخذ بهذه النتائج وتفسيرها وحل المشكلات التي تواجههم في هذا التطور، لكن بقية المعرفة مجهولة محل الصعيد الواقعي والموضوعي، حيث نظر الفلاسفة والباحثين إلى المعرفة على أنها واقعية نهائية كاملة وليست عملية تطور.

وهذا ليس فقط في المعرفة الرياضية والطبيعية بل وحتى في العلوم الإنسانية، وكانوا يأخذون المعرفة النهائية بالفصل عما سبقها ولا يقبل الشك فيها أو نقدها ولا تغييرها إلى غاية ظهور ما يسمى بأزمة العلوم التي نجم عنها ما يسمى بالإبستمولوجيا، وهذه الأخيرة تردت في الكثير من الدراسات الفلسفية الغربية الحديثة والمعاصرة.

ومنه سنتطرق في هذا الفصل إلى مفهوم الإبستمولوجيا وأهم مشكلاتها في المبحث الأول، وعلاقة الإبستمولوجيا بالمجالات المعرفية الأخرى في المبحث الثاني.

المبحث الأول: الإبستمولوجيا مفهومها وأهم مشكلاتها

إن مصطلح الإستيمولوجيا تردد في الكثير من الدراسات الفلسفية الغربية الحديثة والمعاصرة، بل أكثر من ذلك فإن مجموعة من التيارات في الفكر العربي والغربي المعاصر قد تبنته وجعلته كخطاب لها، حيث نجد أن هناك من المفكرين العرب والغرب من وظفوا الإستيمولوجيا في عرض أطروحاتهم حول بعض المواضيع التي تناولها الفكر العربي والغربي المعاصر، فضلا عن أن هناك من اتخذها كمشروع له.

كما أنا الإستيمولوجيا مصطلح جديد حديث النشأة ظهر مع القرن العشرين، ولعل أهم مشكلة تعرضت لها الإستيمولوجيا هو صعوبة تحديد مفهوم لها، حيث إن أغلب الدارسين انطلقوا من تعريفها اللغوي وأصلها المعرفي، ويبقى من الضروري التدقيق فيما تحمله من معنى والذي اختلف مدلوله من لغة إلى أخرى ومن فيلسوف إلى آخر، وهذا ما سنوضحه في المطلب الأول، أما في المطلب الثاني سنبين أهم المقاربات المفاهيمية لها عند بعض الفلاسفة، ولأن من أبرز المشاكل التي واجهتها هي تصنيف العلوم وتقسيمها، فسنبين ذلك في المطلب الثالث.

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للإستيمولوجيا

إن وضع معنى للإستيمولوجيا هو ضرورة تفرضها علينا الدراسات العلمية، كون هذا المصطلح كان نقطة تحول، اكتسب مجموعة من المعاني المختلفة منذ بداية التاريخ الفلسفي حيث أننا سنحاول إبراز كل من المعنى اللغوي والاصطلاحي.

التعريف اللغوي: إن الإستيمولوجيا لغة "لفظ مركب من لفظين: أحدهما ابستماتا (Epistème) وهو العلم، والآخر لوغوس (Logos) وهو النظرية أو الدراسة"¹.

فمعنى الإستيمولوجيا إذن نظرية العلم أو دراسة العلم، كما أن هذا المصطلح تم صياغته في كلمتين، تم اشتقاقهما من المصطلحات اليونانية كونهما يعبران عن العلم والدراسة والنقد،

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1982، ص33.

النظرية، فهنا نعتبر هذا المصطلح جديد، أي حديث النشأة نظرا لعدم وجوده في المعاجم السابقة القديمة.

"ويعزى إدخال هذا المصطلح إلى الفيلسوف الإسكتلندي ج.ف. فيرير (سنن الميتافيزيقا 1854) إذ قسم الفلسفة إلى مبحث الوجود (الأنطولوجيا) ومبحث المعرفة (الإستمولوجيا)".¹

كما نجد الاستمولوجيا في الانجليزية لها نفس معنى نظرية المعرفة، بيد أنه في اللغة الفرنسية فهو مختلف عنه ، حيث إن "معظم الفلاسفة الفرنسيين لا يطلقونه إلا على فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي، فمرد ذلك إلى دراسة تطور العلوم لا تنفصل عن نقدها المنطقي و لا عن مضمونها الحسي المشخص".²

أما التعريف الاستمولوجي الذي جاء <في دليل أكسفورد للفلسفة> فقد ارتبط بلفظ ابستيمي (Épistémic) الذي هو "مثل <ابستمولوجي> نعت مشتق ارتبط بلفظ ابستيمي (épistème) ، الكلمة اليونانية التي ترادف المعرفة (...). القضية تكون ابستيمية إذا فقط إذا كان يلزم عنها ما يجدر الاعتقاد فيه عقلانيا ، وفي بعض الظروف"،³ بمعنى أن القضية تكون ابستيمية في حالة وجود شرط وجيد وهو أن يكون الاعتقاد عقلانيا.

وإذا ما ذهبنا مع التعريف الذي ورد في المعجم الفرنسي <لاروس> فإن "الاستمولوجيا ترتبط بلفظ لوجيك (Logique) الذي يعني المنطق وكل ما يؤدي إلى انسجام المعنى داخله

¹ جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2004، ص 13.

² جميل صليبا، المرجع السابق، ص 33.

³ تدهوندرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ج 1، ترجمة: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، الجمهورية العربية الليبية، 2003، ص 29.

أي كل ما يحمل قوانين المعرفة الصحيحة، حيث تكون هذه القوانين أن المنطق يعد علما قائما بذاته في مقابل لفظ لوغوس الذي يعني العقل في الفلسفة اليونانية¹.

فإن لفظ "الإبستيمولوجيا" يطلق في اللغة الانجليزية ، بالمعنى نفسه على "نظرية العلم" بوجه عام.²

ف نجد أن الاستيمولوجيا مختلفة عن نظرية المعرفة ، فتطلق نظرية المعرفة على مجموع التأملات ، فتهدف إلى تحديد قيمة معارفنا وحدودها، فإن الإبستيمولوجيا تعتبر "هي علم العلوم أو الدراسة النقدية للعلوم...وهذا ما لا يختلف كثيرا عن معناها الاصطلاحي"³.

أي أن نظرية المعرفة والإبستيمولوجيا يختلفان من ناحية دراستهما، فالأولى تدرس التأملات وتحدد قيمة المعرف، أما الثانية هي الدراسة النقدية للمعارف والعلوم.

نرى من خلال التعريفات اللغوية التي عالجت مصطلح الإبستيمولوجيا، بأن هنالك اتفاق في تقديمهم لهذه الكلمة، حيث اتخذت مجرى جديد من الدراسات والأبحاث، فكانت المعرفة محور ونقطة ارتكاز في موضوعاتها، والتي كان لها صدى على وجود نظريات غير مألوفة من قبل بحيث تبين لنا ضرورة إنشاء علم جديد لهاته النظريات الحديثة.

¹Petit la rousse illustré 1986، dictionnaire encyclopédique pour tous librairie la rousse، paris، 1980، p587.

² عبد القادر لورسي، الدليل في الاستيمولوجيا وتدریس العلوم، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص 18.

³ محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط5، 2002، ص18.

التعريف الاصطلاحي: يختلف المعنى الاصطلاحي من فيلسوف إلى آخر فيعرفها "لالاند" في موسوعته الفلسفية "أنها تدل على فلسفة العلوم وهي الدرس النقدي لمبادئ مختلف العلوم وفرضياتها ونتائجها الرامي إلى تحديد أصلها المنطقي ، قيمتها ومداهما الموضوعي"¹.
فالمعنى الاصطلاحي اختلف من فيلسوف إلى آخر، كما اعتبرها البعض أنها تدرس العلوم دراسة نقدية وتحدد أصلها المنطقي.

كما نجد أيضا "جميل صليبا" يرى أن الاستمولوجيا هي: "دراسة العلوم وفرضياتها"².
أي أن الاستمولوجيا هي النقد العلمي للمعرفة بمعنى الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات ونتائج مختلف العلوم للوصول إلى أصلها المنطقي.

ونجد كذلك الفيلسوف الفرنسي "روبير بلانشي" يرى بأن كلمة استمولوجيا هي نفسها نظرية العلم، وبأنها كلمة حديثة، وإذا قمنا بالتفريق بين الإبتيمولوجيا وفلسفة العلوم، علينا أن نأخذ هذا الفرق في المعنى الواسع له فقط، وذلك فالإبتيمولوجيا هي بابا من أبواب فلسفة العلوم والجزء الأقرب من العلم بروحها ومناهجها خاصة في وقتنا الحالي أكثر من أي وقت مضى، وإنها تحتل منطقة متوسطة بين العلم والفلسفة وتمتد بحواشيتها إلى هذه وذاك.³

نفهم من هذا أن "روبير بلانشي" يرى أن الإبتيمولوجيا ونظرية العلم هما الشيء نفسه، إذ أنهما كلمتان مترادفتان على اعتبار أن الاستمولوجيا هي ذلك الجزء الأقرب من فلسفة العلوم.

¹ أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 356-357.

² جميل صليبا، المرجع السابق، ص33.

³ روبر بلانشي، نظرية العلم(الاستمولوجيا)، ترجمة:محمود يعقوبي، د م ج، بن عكنون- الجزائر، ط1، 2004، ص9، ص25.

يرى الفيلسوف الفرنسي "غاستونباشلار" بأن الإستمولوجيا عبارة عن فلسفة بناء ترفض العقل العلمي، كما أنها عنده ليست بناء نظرية في المعرفة، وليست مرتبطة بالعقل قبل العلم أو العلوم السابقة، فالفكر يقوم بنقد الواقع لأنه عامل متطور يرفض الحقائق الثابتة النهائية ويسعى إلى التجديد، وكل هذا فإن أهم ما يميز الإستمولوجيا الباشلارية بأنها تعتبر نظرية علمية في المعرفة وتستمد موضوعاتها وقضاياها ومناهجها من العلم نفسه، وتهتم كذلك بالجانب الناقد والفاشل والخطأ في المجال العلمي، أكثر من اهتمامها بالجانب الايجابي، وبالتالي فهي ليست مكتملة ولا مغلقة، ومن المشاكل التي يطرحها تقدم العلم على العلماء المختصين، فهي إذن تعني بالمعرفة العلمية أساسا وتحاول أن تقدم حولا لقضايا المعرفة عامة، بقدر ما تنتمي هذه القضايا إلى مجالات البحث العلمي.¹

ونفهم من هذا أن الإستمولوجيا عند "غاستونباشلار" هي التحليل النقدي للمعرفة العلمية، حيث تقوم بعملية نقد كيفية ظهور هذه الأخيرة في مجال العلم.

أما بالنسبة إلى "بول موي" فإنه يعرفها بأنها "النقد العلمي للمعرفة، وتدرس المنهج العام للعلوم والعمليات العامة التي يطبقها العقل البشري على العلم"².

وقد ورد مصطلح الإستمولوجيا في عدة لغات مع القليل من التباين في الرسم والنطق، حيث استعمل في اللغتين الانجليزية والفرنسية، إذ يوجد اختلاف بينهما، بحيث فلاسفة الأنجلوساكسون الذين يقصدون بمصطلح الإستمولوجيا بأنها نظرية المعرفة لأنها تبحث في حدود المعرفة ومصادرها وشروطها، على عكس الفلاسفة الفرنسيين الذين يفتصلون بصفة

¹ السيد شعبان حسن، بروثشفيكوباشلار بين الفلسفة والعلم دراسة نقدية مقارنة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1993، صص 137-138.

²بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة: فؤاد حسن زكريا، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1961، ص58.

عامة بين نظرية المعرفة والإستمولوجيا، إذ نجد لفظ الإستمولوجيا يوظف "كنعت في العبارات التالية مثلا:

1- Un projet épistémologique، (مشروع معرفي)

2- Une critique épistémologique، (نقد معرفي)

3- L'aspect épistémologique d'une oeuvre (الوجه المعرفي لمؤلف)
1. (ما)

أما عند الفيلسوف النمساوي "كارل بوبر" (1902-1994) فإن الإستمولوجيا هي نظرية المعرفة العلمية، وفي رأيه أن الإستمولوجيا على حسب ما ورد عند هيوم ولوك وبركلي ورسل هي إستمولوجيا تقليدية وبلا معنى أي تتناول الفكر بالمعنى الذاتي أو المعرفة، إذ هي تتناول "أنا أعرف" "أنا أفكر" بالمعنى الدارج الذي ليس له علاقة بالمعرفة العلمية لأنه محصور في عالم الذوات في حين أن المعرفة العلمية تنتمي إلى عالم النظريات العلمية².

أما بالنسبة إلى "لينا سولير" ترى أن للإستمولوجيا "خاصتين بارزتين: فهي خطاب تدبري (...) وهي خطاب نقدي (...). وباعتبار الإستمولوجيا خطاب حول العلوم فذلك يقتضي مسألتان: أولاً تحديد طبيعة الخطاب المتناول (...) ثانياً تبيان خصائص هذا الخطاب"³.

أي أن أهم ما تتميز به الإستمولوجيا استخدامها للنقد في الخطاب حول العلوم، بحيث يجب تحديد طبيعة الخطاب وتبيين خصائصه.

¹ عبد القادر بشته، الإستمولوجيا، مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1995، ص ص5-6.

² مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2007، ص13.

³ عبد القادر لورسي، المرجع السابق، ص ص21-22.

وبمعنى أكثر دقة فإن الإستمولوجيا هي ليست دراسة المناهج العلمية التي تعتبر موضوع علم المناهج وهو جزء من علم المنطق، كما أنها في الأساس دراسة نقدية لمبادئ وفرضيات ونتائج مختلف العلوم وليست تركيباً أو توقعاً حدسياً للقوانين العلمية على الطريقة الوضعية¹.

ولعل الفيلسوف "غاستونباشلار" والفيلسوف "روبير بلانشي" والفيلسوف "جان بياجي" J.PIAGET (1896-1980م) يعتبرون في مقدمة وأهم فلاسفة الإستمولوجيا في الفكر الفلسفي المعاصر، وعلى ذكر الفيلسوف "جان بياجي" فإنه ينبغي علينا التذكير بأن مصطلح الإستمولوجيا عنده مرادف لنظرية المعرفة، وإجمالاً وتلخيصاً لما سبق ذكره "إن الإستمولوجيا أتاحت لنا التمييز بين المعارف الحسية من جهة تكوينها والتجريبية من جهة منهجها، والواقعية من جهة أساسها، فالمعارف هي عقلانية وعقلية ومثالية..."².

ونفهم من هذا أن الإستمولوجيا تنظر إلى المعارف من زاوية علمية معاصرة، وتراعي بنية الفكر لأنها متحولة من التجريبية من جهة منهجها والواقعية من جهة أساسها.

المطلب الثاني: أهم المقاربات المفاهيمية للإستمولوجيا في الفكر المعاصر

إن الإستمولوجيا تسعى إلى توضيح المعرفة، والمعرفة العلمية خاصة بوصفها دراسة المعرفة دراسة نقدية، وذلك استناداً إلى تاريخها، وإلى تكوينها الاجتماعي وإلى الأصول السيكولوجية للأفكار العلمية كما تبحث في المناهج والأسس والنتائج، وفي هذا الصدد نذكر أهم المقاربات المفاهيمية للإستمولوجيا في الفكر المعاصر.

¹André Lalande، vocabulaire technique et critique de la philosophie، P.U.F، paris، France،5eme éd، 1999،p293.

²رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، ج1، دار المحجة البيضاء، بيروت- لبنان، ط1، 2013، ص25.

1-مقاربة روبير بلانشي:

انطلق "روبير بلانشي" في كتابه "الإستمولوجيا" في تحديد مفهوم كلمة épistémologie التي يرى أنها "مرادفة لنظرية العلم (théorie de la science) وبأنها مفهوم جديد مستحدث".¹

كانت بداية "روبير بلانشي" بتحديد مفهوم الإستمولوجيا بمفهومها المعاصر، ويرى بأنها هي نفسها نظرية العلم بمدلولها الحديث.

ومنه يعرف الإستمولوجيا بأنها هي نظرية العلم نفسها، واستخدمت في المعاجم الفرنسية، كما أن استعمالها قريب العهد، وبالتالي هي كلمة حديثة.²

كما أن الفيلسوف "بلانشي" ناقش الفيلسوف "الاند" قائلا: "لا يمكن للإستمولوجيا أن تبحث في مبادئ العلوم وقيمتها وبعدها الموضوعي بدون التساؤل حول طبيعة المناهج المستعملة في ذلك".³

أي أن الإستمولوجيا تدرس البعد الموضوعي للعلوم ومبادئه دون الأخذ بعين الاعتبار طبيعة المنهج المستعمل.

¹أحمد حسن، نظرية العلم والعقلانية الرياضية عند روبير بلانشي، الفلسفة الفرنسية المعاصرة جدل التوقع والتوسع، تأليف: مجموعة باحثين، إشراف: سمير بلكيف، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015، ص151.

²عيسى رفاص، التفسير الإستمولوجي للواقع الفيزيائي عند روبير بلانشي، مجلة دراسات، جامعة الجزائر 02، العدد 10 (المجلد 6)، 2019، ص38.

³عبد القادر بشته، المرجع السابق، ص57.

إذ يرى أنه لا يمكن الفصل بين فلسفة العلوم والإستيمولوجيا ويميل إلى وضع ترادف أكيد بينهما بوصفها لوغوس مؤسساً لمواضيعه. وذلك في كتابه *épistémologie*، هذا والنماذج التي يقصدها الفيلسوف "بلانشي" هي نفسها تقريبا التي يذكرها نص الموسوعة العامة.¹

فالإستيمولوجيا تعتبر جزء من فلسفة العلوم لأنها عبارة عن ممارسة لها ولا يمكن إنكار أن فلسفة العلم تدرس نظريات العلوم وموضوعاتها للوصول إلى قيمتها.

كما أنه ثمة نوعا من التقارب والتطابق بين قولنا: "الإستيمولوجيا" كنظرية علم، كونها تتخذ طابعا ابستيميا (نقديا)، كما أن نقد أفلاطون للمعرفة الحسية ما هو إلا دليل على أن عمل الإستيمولوجيا بالمفهوم المعاصر كان مبطنا في تاريخ الفلسفة.²

نفهم أن الإستيمولوجيا النقدية لها بوادر وإرهاصات منذ تم ميلاد اللوغوس، إذ أفلاطون أخذ بالعقل ونقد الحس، كل هذا فالإستيمولوجيا مصطلح وليد القرن العشرين ولكن ممارسته النظرية قديمة جدا وتاريخ الفلسفة يشهد على ذلك، ودليل ذلك عمل الإستيمولوجيا بالمفهوم المعاصر كان مبطنا في تاريخ الفلسفة.

وذهب الفيلسوف "روبير بلانشي" إلى أن علاقة الإستيمولوجيا بنظرية المعرفة هي مبدئيا علاقة النوع بالجنس، إذ تقتصر الإستيمولوجيا على ذلك الوحيد من المعرفة الذي يتمثل في المعرفة العلمية.³

¹ عبد القادر بشته، المرجع السابق، ص 31.

² أحمد حسن، المرجع السابق، ص 157.

³ محمد عوض الترتوري: الاتجاهات الإستيمولوجيا السائدة لدى طلبة السنة أولى المشتركة في جامعة ملك سعود، مجلة كلية التربية، العدد 182، ج1، جامعة الأزهر، مصر، 2019، ص 434.

بمعنى أن "روبير بلانشي" اتبع في إبستمولوجيته علاقة نظرية المعرفة بالإبستمولوجيا، حيث أن هذه الأخيرة تقتصر على شكل وحيد من أشكال المعرفة وهو المعرفة العلمية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظرية المعرفة ذلك لأنها تبحث في الأسئلة التقليدية كحدود المعرفة وإمكاناتها، هذا ما جعلها تكون هي نفسها لا سبيل إلى وضع حدود تفصل بينهما.

ومن كل هذا نستنتج أن فلسفة وإبستمولوجية الفيلسوف "روبير بلانشي" تندرج ضمن الموقف العقلاني الجديد المعاصر، فهو انتقد تيارات فلسفية ثلاثة متعارضة، وأراد أن يتجاوزها جميعاً وهي العقلانية الكلاسيكية والواقعية والوضعية، وحاول أن يركز على الثورة العلمية المعاصرة مبرزاً أن كل الاتجاهات التي ينتقدها لا تمثل الفلسفة المطابقة للعلم، ويهدف إلى أن يكون بذاته الفلسفة المطابقة لعلم هذا العصر، وهذا كان موقفه العقلاني المعاصر ضمن الفلسفة الفرنسية المعاصرة.

2- مقارنة غاستون باشلار*:

يرى "باشلار" أن الإبستمولوجيا توجد على مفترق الطرق بين الواقعية والعقلانية إذ يمكن لها من هذه الزاوية تناول الدينامية الجديدة لهذه الفلسفات المتناقضة وهذه الحركة المزدوجة التي يعتمدها العلم لتبسيط الواقع وتعقيد العقل. وهكذا يجري اختصار المسافة الفاصلة بين الواقع المفسر والفكر المطبق.

إن الإبستمولوجيا عند الفيلسوف "باشلار" هي تعبير عن موقف فلسفي جديد، بحيث يسعى إلى تجاوز الموقف الفلسفي التقليدي، ويسعى كذلك إلى تأسيسه وتحديد أهدافه حتى

* غاستون باشلار: Bachelard Gaston (1884-1962م) فيلسوف فرنسي اهتم بالإبستمولوجيا، من مؤلفاته: "العقلانية

التطبيقية"، "تكوين الروح العلمية"، "الروح العلمية الجديدة". ينظر:

- محمود يعقوبي، معجم الفلسفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص196.

يكون متوافقا مع العلوم المعاصرة. كما أن إستمولوجية "باشلار" تعتبر الفلسفة الوحيدة القادرة على تحليل التركيب الشديد للفكر المعاصر¹.

أي أن "باشلار" تجاوز الفلسفة التقليدية وصولا إلى الفلسفة المعاصرة وذلك بواسطة التحليل والتركيب للفكر المعاصر.

ومن الواضح إذن أن الإستمولوجيا الباشلارية على هذا المستوى من تطور الفكر الإستمولوجيا الباشلاري تؤدي إلى نظرية تجمع بين الاتجاهين المعروفين وترفض كلاهما على حدة، ونلاحظ أيضا أن الفيلسوف "باشلار" لم يشيد هذه النظرية المعرفية بل اكتفى بالإشارة إليها فقط.²

أي الجمع بين العقل والتجربة وضرورة تحاور العقل والتجربة، وفي هذا الصدد يؤكد باشلار أن الإستمولوجيا لا يمكن أن تكون عقلانية ولا يمكن أن تكون واقعية بل من الضروري أن يكون العمل على مفترق النظريتين.

لقد وصف "باشلار" فلسفته بأنها <فلسفة النفي> La philosophie du non (وذلك هو عنوان أحد كتبه)، أي أنها فلسفة مبنية على العلم الحديث ولا تقبل الآراء العامية والتجربة الابتدائية والوصف المبني على الخبرة. كما أنها تعتبر الفلسفة التي تقول لا للعلم الأمس وللطرق المعتادة في التفكير، ولا تأخذ <البسائط> أي الأفكار البسيطة على أنها أفكار بسيطة بل يجب التسليم بها دون مناقشة.³

¹ جمال بوغالم، استمولوجيا باشلار بين الفلسفة والعلم، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، جامعة حسبية بن بوعلی بالشلف، العدد 21، جانفي 2019، ص 155.

² عبد القادر بشته، المرجع السابق، ص 44.

³ محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 37.

ونفهم من أن فلسفة النفي إذن ترفض كل تصور علمي يعتبر نفسه كاملاً نهائياً، فهي الفلسفة التي ترى أن كل مقال في المنهج هو مقال ظرفي، مقال مؤقت لا يصف بناء نهائياً للفكر العلمي، بل فقط بناء يبنى على الدوام ويعاد النظر فيه باستمرار، ولا تأخذ الأفكار البسيطة على أنها كذلك بل تأخذ بها دون مناقشة.

كما أن "باشلار" في فلسفته هذه نقد مثالية ديكارت بحيث وصفها بأنها فلسفة تؤمن بمبادئ معرفية أولى تتأسس عليها المعرفة الانسانية بصفة عامة، و"باشلار" لا يؤمن بوجود أسس ثابتة تنطلق منها لتأسيس المعرفة، كما يرى أن كل المبادئ متغيرة وغير ثابتة ولا تستقر على حال وهو ما تدل عليه الصيرورة العلمية (...). وعلى كل حال فالعمل الاستيمولوجي بالبشاري لم ينجح في وضع المستوى المعرفي العام داخل نسق فلسفي دقيق وثابت كما فعل "كانط" مثلاً.¹

كما يضعنا "باشلار" أمام الحقيقة الآتية: بأنه عدم الأخذ بعين الاعتبار الطبيعة الخاصة للمرحلة العلمية الراهنة التي نريد أن نفكر فيها إستيمولوجيا لا يسمح لنا في التفكير في مهام الاستيمولوجيا ، وسيتبين لنا عندئذ أن العلم المعاصر هو من السعة، أي يجب أن يكون إستيمولوجيا عند اكتفائه بإصدار أحكام عامة ولا يمكن لمن لم يأخذ العلم على العلماء أن يكون كذلك.²

أي أن الإستيمولوجي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار طبيعة المرحلة العلمية التي يريد أن يبحث فيها ويفكر فيها، ويجب أن يكون فيلسوفاً تأملياً، ويؤدي وظيفة الإستيمولوجي من له اختصاص علمي ضيق.

¹ عبد القادر بشته، المرجع السابق، ص 44-45.

² محمد وقيدي، المرجع السابق، ص 17.

كما أن الإستمولوجيا المعاصرة عند "باشلار" نجدها تعتمد على معطيات الثورة العلمية المعاصرة في كل من مجال العلوم الرياضية والعلوم الفيزيائية بصفة خاصة، وهذا لكي نؤكد أن آثار هذه الثورة لم تمس بمبادئ تلك العلوم فحسب بل لحقت أيضا إلى بنية الفكر الإنساني الذاتي.¹

نفهم من هذا أن الإستمولوجيا الباشلارية قد كرست جهودها في دراسة الثورات العلمية المعاصرة خاصة في مجالات الهندسة، والفيزياء، والكيمياء، وبصورة أقل المنطق مع قيامها بارتدادات تاريخية للمقارنة بين حالة العلم الراهنة وحالات السابقة بغية الوقوف على القيم المتحكمة في العلم في كل مرحلة من تاريخه.

إن "باشلار" يصف فلسفته العلمية، بأنها تعني شيئا واحدا وهو العقلانية التي تقوم على الحوار بين العقل والتجربة، وترفض الانطلاق من مبادئ قبلية كما أنها لا تسمح بربط الفكر وعملياته بالمعطيات التجريبية وحدها (...). من هنا تطور الفكر الرياضي، والذي يعتبر الفكر الرياضي الحديث والفكر الفيزيائي الحديث يلتقيان و يندمجان في تصور واحد للمعرفة.² بمعنى أن العقلانية المطبقة مهمتها التركيب الجدلي بين العقل والواقع، فأرادت الإستمولوجيا الباشلارية تكوين عقل علمي قائم على قيم الثقافة العلمية المتجددة باستمرار، حيث تنتقد به العقل التقليدي الذي يعمل وفق مبادئ منطقية صارمة للعقل عند "باشلار" هو في حد ذاته نتيجة من نتائج العلم، وتغيير هذه النتائج يؤدي إلى تغيير العقل نفسه، فليس هناك عقل ثابت ولا معرفة ثابتة، ومنه فالفكر الرياضي والفكر الفيزيائي الحديث يلتقيان ويندمجان في تصور واحد للمعرفة.

¹ غاستون باشلار، إستمولوجيا (نظرية المعرفة)، ترجمة: درويش الحلوجي، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1، 1998، ص192.

² محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص463.

ومنه نستنتج أن الإستيمولوجيا المعاصرة عند الفيلسوف "غاستونباشلار" أساسها تكوين علمي جديد في الإستيمولوجيا هو محاولة التوفيق بين الفلسفتين العقلانية والتجريبية من خلال التكامل بينهما من جهة ومحاولة بناء ثقافة علمية جديدة باستمرار حسب متطلبات العصر وعوامله الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

3-مقاربة جان بياجي*:

يعد موضوع الإستيمولوجيا أحد أهم المحاور الأساسية في المعرفة المعاصرة، فالفيلسوف "جان بياجي" اهتم بالإستيمولوجيا والنزعات السيكولوجيا، فقد أصبح النمو المعرفي في علم النفس يحتل مكانة مرموقة في كتب السيكولوجيا الحديثة، حيث إن العديد من العلماء قاموا بدراسة النمو المعرفي بنظريات متنوعة، ذلك لأنها من أهم النظريات والدراسات لكيفية تعلم الفرد نجد التكوينية المعرفية لـ "بياجي" وهي أشمل النظريات لأنها تحدد فهم النمو المعرفي العقلي، وهذه كانت ابستيمولوجية "بياجي" ومن خلال هذا سنوضح مقاربه المفاهيمية للإستيمولوجيا.

يعرف "جان بياجي" الإستيمولوجيا على أنها دراسة نقدية للعلوم وذلك لتبيين مبادئها التي تقوم عليها، كما أنها تبرز أساسها المنطقي عن طريق نقد هذه المبادئ من أجل إبراز القيمة الموضوعية لها، ومن هنا نبرز مفهوم الإستيمولوجية التكوينية Epistémologie génétique، والتي تعتبر كلمة مشتقة من التكوين، وبتعريف "جميل صليبا" هو الفعل الذي أحدث به ذلك الشيء حتى وصل إلى حالته الحاضرة، ونعني به التصيير والتخليق

*جان بياجي: Jean Piaget(1896-1980م) عالم نفساني سويسري، من أهم مؤلفاته: "اللغة والفكر"، "سيكولوجيا الذكاء"، "المدخل إلى نظرية المعرفة التكوينية". ينظر: - محمود يعقوبي، المرجع السابق، ص200.

والاختراع...، ونقول الطريقة التكوينية هي تدرس المواضيع من جهة تكوينها أي تعريفها التكويني، يعني يعرف الشيء بالفعل المولد عنه¹.

فابستمولوجية الفيلسوف "جان بياجى" هي الإبستمولوجيا التكوينية ويعرفها "بوصفها دراسة المعرفة ومحاولة لتوضيح المعرفة العلمية استنادا إلى تاريخها وإلى تكوينها الاجتماعي، وعلى الأصول السيكولوجية للأفكار والعمليات التي تعتمد عليها بصفة خاصة².

أي أنه أراد أن يدرس تطور التفكير عند الأطفال، وربطه بتطور المعرفة الانسانية منذ ولادة البشر.

وبمنظور "بياجى" الإبستمولوجيا من نشأتها تدرس المعرفة، أي كل معرفة لا بد أن تدرسها الإبستمولوجيا دراسة نقدية في أصولها ومراحل تكوينها، وتصف محاولة توضيح المعرفة العلمية، لأن الإبستمولوجيا بمفهومها هي معرفة علمية وذلك من خلال تاريخها وتكوينها الاجتماعي، كما أنه لا بد من إتباع هذه المراحل التكوينية فيقول بياجى " ليس علينا أن نتساءل عما في المعرفة العلمية ككل، بل علينا أن نصنع السؤال: كيف تتم المعارف وتتزايد ناظرين إلى تلك المعارف تعددها"³.

نفهم من هذا أن "بياجى" يرى أن المعرفة بالتأكيد تكون مرت بمراحل ساهمت في تكوينها، فكل معرفة لها تكوين قبلي لأنها لم تأتي كما هي ثابتة وجاهزة، لذا نتساءل على كيفية نمو المعارف.

ومن كل هذا فقد ربط "بياجى" بين علم النفس والمعرفة حيث علم النفس في رأي "بياجى" يستطيع مساعدة الفلسفة في مهمتها لكي تبحث في الفكر وأسس المنطقية أي الفلسفة

¹ جميل صليبا، ج1، المرجع السابق، ص ص333-334.

² جان بياجى، الإبستمولوجيا التكوينية، ترجمة: السيد نفاذي، دار التكوين، بيروت، د ط، 2004، ص 13.

³J. Piaget، 'psychologie et épistémologie'، Gauthière، Denoël، Paris، 1970، p120.

تدرس الفكر وعلم النفس يساعدها بدراسة الطفل وتفكيره، وهذه الدراسة تكون بالاشتراك مع علم الاجتماع الذي يساعدهم في دراسة فكر المجتمعات، وفي اتحادهم يكون الفهم الصحيح لفكر المجتمعات والتطبيق الصحيح للمناهج التربوية الصحيحة.¹

أي أن "بياجي" يرى أن علم النفس يستطيع أن يزود الفلسفة بالكثير من المعطيات في هذا المجال، وباشتراك الفلسفة وعلم النفس مع علم الاجتماع يمكن أن تؤدي إلى فهم صحيح وتطبيق ملائم إلى ثورة في المناهج والطرق والأساليب التربوية.

ولهذا كانت الإستمولوجيا التكوينية عند بياجي "تهدف إلى استعراض جميع المراحل التي توصلنا من خلالها إلى ما نعتبره اليوم معرفة علمية".²

أي أن الاستيمولوجيا التكوينية هنا تهدف إلى الرجوع وتوضيح المراحل التي مرت بها المعرفة، ويجب النظر إلى ما كانت عليه قبل تكوينها على الشكل الحالي.

إن الإستمولوجيا التكوينية تدرس المعرفة وتقتصر على المعرفة العلمية، كما أن "بياجي" جمع بين العمليات الثلاث: علم النفس، الفلسفة، علم الاجتماع، ليكون عمل الإستمولوجيا التكوينية، كما تأخذ بعين الاعتبار الصياغة المنطقية المطبقة على بنية الفكر، وبهذا يتجاوزون النظرة الفلسفية التقليدية الراهنة فقط دون النظر إلى مراحل تطورها، ولهذا أتى "بياجي" بالإستمولوجيا التكوينية³.

وبذلك فإن استيمولوجية "جان بياجي" التكوينية درست المعرفة العلمية، وتبلورت عنده فكرة الربط بين علم النفس والمعرفة وعبر عنها بـ "الاستيمولوجيا التكوينية" بوصفها الدراسة

¹ مريم سليم، علم تكوين المعرفة - استيمولوجيا بياجيه، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 2002، ص 13.

² روبر بلانشي، نظرية المعرفة العلمية (الإستمولوجيا)، مرجع سابق، ص 48.

³ جان بياجي، الاستيمولوجيا التكوينية، مرجع سابق، ص 35.

العلمية لنمو المعارف،" بحيث تشمل تكوين المعارف وتحليل الأفكار العلمية تحليلا نقديا تاريخيا"¹، وبهذا تجاوز النظرة الفلسفية التقليدية.

بعد كل هذا نستنتج أن الإبستمولوجيا التكوينية عند "بياجي" هي العملية التي تستلهم كل مستويات المعرفة من الدرجة الصفر إلى الدرجة التي تبلغها المعرفة الجديدة بالاعتبار، واستلهم مفهوم إبستمولوجيته من الإبستمولوجيا ووسع معناها وأطلق عليها سيكولوجية العلوم وذلك لدراسة تطور العلوم.

4- مقارنة محمد وقيدي:

يتحدث الفيلسوف "وقيدي" عن كتابته الفلسفية قائلا: "بدأت الكتابة الفلسفية بدراسة نشرتها عن الإبستمولوجي الفرنسي "غاستون باشلار"، كما أنني في كتابات أخرى اعتمدت على الإبستمولوجي السويسري "جان بياجي"، واستلهمت كلا منهما"².

من هنا فإن "وقيدي" كان متأثرا في كتاباته الفلسفية بكل من الفيلسوف "باشلار" والفيلسوف "بياجي"، حيث قد قام بتأليف ثلاث كتب حول الإبستمولوجيا، لعل أبرزها كتابه الذي يحمل عنوان: (ماهية الإبستمولوجيا؟) والذي بين فيه أن الإبستمولوجيا ماهية إلا "تفكيراً نقدياً للعلم يحتويه التصور التقليدي لعلاقة العلم بالفلسفة، مما يعطي لكلمة النقد معنى فلسفياً"³.

¹ محمود يعقوبي، المرجع السابق، ص 8.

² محمد وقيدي، جراءة الموقف الفلسفي، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص 61.

³ المرجع نفسه، ص 100.

أما بالنسبة للكاتبين الآخرين، الأول عنوانه بـ: "الإستمولوجيا التكوينية عند جان بياجي"، والثاني كان عنوانه موسوماً بـ: "الإستمولوجيا التكوينية للعلوم"، واللذان خصصهما للإستمولوجيا التكوينية".

وعلى الرغم من أن "وقيدي" قد عنوان أحد كتبه بـ "ماهي الإستمولوجيا؟" إلا أنه لم يقدم تعريفاً معجمياً لها، واستثناءً اعتبرها دراسة نقدية مثلما تبحث في المناهج تبحث أيضاً في الأسس و النتائج، حيث أن غايته في تحديد مفهوم الإستمولوجيا كان منذ البداية من خلال بحثه في مهام التفكير الإستمولوجي، سواء تعلق الأمر بالمهام التي أرجعت إليه في الماضي أو لا زالت ترجع إليه، أو تعلق بتلك التي ستحدد كمهام مستقبلية لهذا التفكير.¹

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لم يمنعه من الاستناد على تعريف "لالاند"، حيث عمل على مناقشة هذا التعريف وتقبله من حيث المبدأ الذي تم فيه التمييز بين ما تربوا إليه الإستمولوجيا التي هي عبارة عن دراسة نقدية لا تتوقف عند المنهج فقط، بل تتجاوز ذلك إلى الأسس والنتائج، وبين ما تربوا إليه مناهج العلوم (الميتودولوجيا) التي هي عبارة عن دراسة وصفية، وقد اعترض على نتيجته المتمثلة في اعتبار الميتودولوجيا جزءاً من المنطق.²

والجدير بالذكر هنا أن "وقيدي" لا يرى أن أي محاولة تفكير في العلم يمكن أن تعتبر نظرية في العلم أو بالأحرى إستمولوجيا، ذلك أن علاقة التفكير الفلسفي بالعلم، قد اتخذت من تاريخها صوراً لا يمكن أن نقر لها جميعاً بالأهداف التي يمكن أن يسعى إليها التفكير الإستمولوجي المعاصر فالتفكير الإستمولوجي ليس بناءً لنظرية ميتافيزيقية بناءً على ما يثيره علم أو علم فترة تاريخية من مشاكل ذات طبيعة فلسفية.³

¹ محمد وقيدي، ماهي الإستمولوجيا؟، دار الحداثة للطباعة والنشر، لبنان-بيروت، ط1، 1983، ص7.

² محمد وقيدي، ماهي الإستمولوجيا؟، المرجع السابق، ص8.

³ المرجع نفسه، ص8.

المطلب الثالث: أبرز المشاكل الإستيمولوجية

إن أبرز المشاكل التي تواجه الإستيمولوجيا هي لسبب كثرة موضوعات العلم وتعدد مناهجه، والتشتت المتزايد لمختلف العلوم، كما أنها احتفظت بتصنيفها في مجموعات كبرى على أساس التشابه في الموضوع، وكل هذا سبب نوعي من المشكلات الإستيمولوجية عامة مثل تصنيف العلوم وتقسيمها إلى مجموعات معينة، ومشكلات خاصة بكل علم على حده مشكلات الرياضة التي تتعلق بطبيعة الوجود الرياضي أو المتعلقة بأسس الرياضة، وهذا ما سنعالجه في طرحنا هذا:

إن المشكلة الإستيمولوجية نتساءل ما إذا كانت مشكلة علمية مجالها في العلم ومصدرها تاريخه، أم أنها مشكلة علمية مجالها الفلسفة، والتطور في تاريخ العلم لا يكون نتيجة الحوار الفلسفي أو التطور في تاريخ الفلسفة وإنما يكون بقيام نظرية علمية جديدة كالهندسات الإقليدية أو النظرية النسبية، وإن المشكلة الإستيمولوجية تحدث من حيث الأثر بقيام نظريات علمية جديدة من المفاهيم الفلسفية وهذا بصفة خاصة في حالة وجود بعض المفاهيم التي هي بذات الوقت موضوع للحديث الفلسفي والحديث العلمي كلاهما وبالتالي تكون مشكلة فلسفية.¹

إن المشكلة الإستيمولوجية مشكلة فلسفة بصفة خاصة وذلك لتقسيم العلوم وتصنيفها، أي وجود أزمة في العلم، وداخل أنساقهم التي تتبنى مفاهيم ثابتة، إن التغيير الذي يحدثه التطور العلمي في بعض المفاهيم يربك الفلاسفة، بمعنى أن هذه مشكلة فلسفية.

¹محمد وقيدي، ماهي الإستيمولوجيا؟، مرجع سابق، ص16.

كما نجد أن الإستمولوجيا تعالج نوعين من المشكلات منها ذا الطابع العام والتي تهتم بجميع العلوم المختلفة، والمشكلات ذات الطابع الخاص بهذه المجموعة أو تلك العلوم أو الخاصة بعلم واحد من العلوم.

المشكلة الإستمولوجية الخاصة «بتصنيف العلوم» تعتبر مشكلة عامة وقديمة وفي نفس الوقت هي مشكلة خاصة، قد تغير مفهومها اليوم تغييرا يكاد أن يكون تاما. ففي تصنيف العلوم اليوم يكون بإقامة نسق ثابت جامد لكل العلوم وليست من مهمة الباحث، بحيث يجد فيه كل علم مكانه المعين بشكل ثابت ونهائي مع ترك أماكن فارغة كما فعل "أمبير" Ampère للعلوم التي ستستقل أو ستستجد.¹

أي في العصر الحديث نلاحظ تعدد العلوم ووحدة المعرفة، فسبب تعدد العلم هو المواد المختلفة التي تحصل في المدارس، ووحدة المعرفة ترد إلى العقل لأنه يفهم هذه المواد.

كما أننا نواجه مشكلة أخرى في الإستمولوجيا وهي الإستمولوجيا الخاصة «بتقسيم العلوم»، وغالبا ما استند التفكير الإستمولوجي إلى نوع من القسمة الثنائية الأساسية التي تعددت صورها وتتنوع باختلاف المفكرين أنفسهم في تصنيفه للعلوم المختلفة. ويجوز وصف بعض هذه التصنيفات بالسطحية. فنجد تصنيف العلوم التقليدي الذي يميز بين العلوم المجردة والعلوم العينية.²

وبالتالي قسم المفكرون العلوم بشكل عام إلى مجموعتين: العلوم الصورية (المنطق والرياضة) من جانب وعلوم الواقع من جانب آخر.³

¹ روبر بلانشي، نظرية المعرفة العلمية (الإستمولوجيا)، مرجع سابق، ص 82.

² روبر بلانشي، المرجع السابق، ص 102.

³ المرجع نفسه، ص 82.

نفهم من هذا أن ضمن المشاكل الإبستمولوجية وجود أزمة في العلم فهذه الأخيرة ليست أزمة في العلم بقدر ما هي أزمة داخل أنساقهم التي تتبنى مفاهيم ثابتة.

كما انقسم الإبستمولوجيون إلى فريقين: فريق نظر إلى مسار العلم على أنه سيرورة متصلة مستمرة لا انقطاع فيها ولا انفصال، وفريق آخر رأى أن مسار العلم مسار انقطاع واضطرابات وأزمات وثورات.

أما من ناحية العلوم الصورية فمشكلتها التي كان يراد بها في البداية العلوم الرياضية فقط، ارتبط بها منذ وقت قريب المنطق في صورته الرمزية ارتباطا وثيقا. كما أن المنطق الحديث الأساسية فمهمته هي معرفة ما إذا كان يمكن رد الرياضة إلى المنطق بحيث يمكن بناء الرياضة من جديد، ومهما يكن الأمر فأغلبية المشكلات الإبستمولوجية الخاصة بالرياضة تجد ما يقابلها في المنطق، والعكس بالعكس. أما الواقعية التي تخص العلوم الواقعية فإنها تعبر عن نفسها بطريقة نموذجية في علم الفيزياء.¹

كما أن الإبستمولوجيا واجهتها مشاكل أخرى كمشكلة الاصطلاح، بحيث اختلف مدلول "الإبستمولوجيا" من لغة إلى أخرى، فلم يجتمع المفكرين المعاصرين بشأن موضوعه وحدوده، فمازال متشابكا ومتاخلا مع مباحث أخرى لأن مجال بحث هذه الدراسات يأخذ المعرفة موضوعا لها، بحيث يجعل هذا المصطلح دون ضفاف ولا حدود، فتشتتوا في ضبط مفهوم واضح لهذا المصطلح ولم يتم الإجماع حتى في الاستعمال.

¹روبير بلانشي، مرجع نفسه، ص 85.

نجد المدرسة الفرنسية هي التي تعتمد مصطلح الإستمولوجيا "Epistémologie"، والمدرسة الأنجلوساكسونية تقابله مصطلح فلسفة العلوم Philosophie of science، أما المدرسة الألمانية مصطلح نظرية المعرفة Erkenntnis_Théorie.¹

أي أن مصطلح الإستمولوجيا تعددت مفاهيمه ومدلوله في كل لغات، فلم ينجحوا في ضبط مفهوم واحد والجمع عليه عند الفلاسفة المعاصرين.

عرفها المفكر الفرنسي "لالاند" في معجمه: بأنها فلسفة العلوم، والتي تشكل جزءا من المنطق وليست تركيبا للقوانين العلمية، وبمعنى أكثر خصوصية هي الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم، وليست بالضبط دراسة المناهج العلمية التي هي موضوع الميتودولوجيا، وتهدف إلى تحليل أصلها المنطقي لا النفسي وتبيين قيمتها وحصيلتها الموضوعية.²

أي أن الإستمولوجيا عرفها المفكر "لالاند" على أنها هي نفسها فلسفة العلوم، وتحلل الأصل المنطقي للميتودولوجيا، إذ تعتبر جزء من المنطق.

أما من حيث الاشتقاق اللغوي هي من أصل يوناني، تتألف من جزأين: "ابستيمي" تعني العلم، "لوغوس" تعني علم، نقد، وهكذا فإذا للمصطلح مدلول قديم في اللغة اليونانية، مثل مدلوله الحديث الذي قدمته المدرسة الفرنسية، بحيث يتمثل في "الدراسة النقدية للعلوم" و"علم العلوم" وفي العصر الحديث استعمل المصطلح القديم في ثوب جديد على يد "قريبه" في كتاب مبادئ الميتافيزيقا.³

¹ شهرزاد بوقراط، الإستمولوجيا في فكر "هنري بوانكاريه" دراسة تحليلية نقدية، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، 2001_2002، ص 10.

² المرجع نفسه، ص 11.

³ شهرزاد بوقراط، المرجع السابق، ص 10.

وفي الأخير نستنتج أن هذه من أهم المشكلات الكبرى التي طرحت في الإستيمولوجيا وعلى مدى العقل البشري سواء علمية أو فلسفية، وتعدد العلوم وتشتتها، سواء كانت من ناحية الاختلاف في تحديد مفهوم واحد للإستيمولوجيا، كل هذا أدى إلى انقسام العلماء والفلاسفة إلى فريقين.

المبحث الثاني: علاقة الإستيمولوجيا بالمجالات المعرفية الأخرى

تعتبر الإستيمولوجيا من العلوم المعرفية حديثة النشأة نسبياً، والتي تهتم بنقد المعرفة العلمية بهدف الكشف عن مبادئها وظروف نشأتها، وتفسيراتها للواقع، حيث أن هناك من الإستيمولوجيين من يختص بالمناهج العلمية، وهناك من يهتم بالمفاهيم العلمية، كما أن موضوع الإستيمولوجيا هو العلم بجميع أبعاده، حيث لا يمكن أن نستثني أي عنصر من العناصر العلمية، فهناك من الإستيمولوجيين من يختص بالمناهج العلمية ومنهم من يهتم بالمفاهيم العلمية أكثر، ولنتمكن من تحديد ميدان الإستيمولوجيا لا بد من تحديد علاقتها بالمجالات المعرفية الأخرى وبالضبط عن علاقتها بكل من: نظرية المعرفة، فلسفة العلوم وعلم المناهج.

ومنه سنقسم المبحث الثاني إلى ثلاثة مطالب بحيث سندرس في المطلب الأول علاقة الإستيمولوجيا بنظرية المعرفة، وفي المطلب الثاني علاقة الإستيمولوجيا بفلسفة العلوم، أما في المطلب الثالث علاقة الإستيمولوجيا بعلوم المناهج.

المطلب الأول: علاقة الإستيمولوجيا بنظرية المعرفة

تختص نظرية المعرفة كما بات معلوماً في إمكانية قيام معرفة ما عن الوجود بمختلف أشكاله ومظاهره، وما إذا كانت المعرفة ممكنة وبالسؤال عن أدواتها وحدودها وقيمتها، وتأسست في سياقها هنا عدة مذاهب منها المذهب العقلي الذي يعتبر العقل هو الوسيلة الوحيدة للمعرفة

وفيه تتأسس معرفة قبلية فطرية، والمذهب الحسي-التجريبي الذي يحيل المعرفة إلى الحواس باعتبار العقل صفحة بيضاء والمذهب الحدسي الذي يحيل المعرفة إلى الحدس الذي لا يتوافق على تعريف صارم له، وتتشابك مواضيع الإبتيمولوجيا كونها تعتبر أحد العناصر التي جعلت من العلم شغلها الشاغل فاهتمت بالعديد من القضايا العلمية والعلوم المعرفية هذا ما جعلها تتقاطع مع ما يسمى بنظرية المعرفة فهذه النقطة كانت محل تأثير على العديد من الفلاسفة والمفكرين في أنه ينبغي أن نبين العلاقة الحاصلة بين كلا من الإبتيمولوجيا ونظرية المعرفة فهذا ما سنحاول معالجته:

لقد وازن الفلاسفة الناطقون باللغة الانجليزية في الاستعمال بين لفظ "الإبتيمولوجيا" وتعبير "نظرية المعرفة" ولم يضعوا أي اختلاف بين الميدانين، ونجد ضمن هذا الفريق عالم النفس الكبير "جانبايجه" وهو صاحب نظرية الإبتيمولوجيا الارتقائية والذي اعتبر مصطلح <إبتيمولوجيا> في استعمالها مرادفا لنظرية المعرفة.¹

أي أن كل من نظرية العلم ونظرية المعرفة كلمتين مترادفتين، أي الربط والوصل بينهما والعدل بينهما كذلك لأن حدوث الأولى يؤدي حتما إلى حدوث الثانية.

ونجد أيضا الفيلسوف "روبير بلانشي" يرى أنه من الصعب الفصل بين نظرية المعرفة الفلسفية ونظرية العلم لأنهما مترادفتان، كما أن مجال نظرية العلم هو المعرفة العلمية وإذا ما ذهبنا مع الطرح الذي يرى أن المعرفة هي بالأساس معرفة علمية كالوضعيين الجدد وما نتج عنهم من تجريبانية منطقية، فإن كل نظرية في المعرفة هي نظرية في العلم بالأساس، وخلاف ذلك يكون عبثا لا معنى له، وهذا ما أقره الفيلسوف "رودلف كرناب"، حينما رأى أن نظرية

¹روبير بلانشي، نظرية المعرفة العلمية (الإبتيمولوجيا)، تر: دكتور حسن عبد الحميد، مطبوعات الجامعة، د ط، الكويت، 1986، ص14.

المعرفة تستمد مشروعيتها حينما تترد إلى التحليل المنطقي لنظرية العلم بوجه خاص ولهذه الأخيرة بوجه عام.¹

بالإضافة إلى "اللاندا" تحدث أيضا عن الإستمولوجيا بأنها تمهيد لنظرية المعرفة، وتحدث نص الموسوعة العامة عن أسلوب استيمولوجي يرتبط بنظرية المعرفة ويمهد لها وساوى "بياجي" بين الإستمولوجيا ونظرية المعرفة لأن وقوع الأولى تؤدي حتما إلى وقوع الثانية.² نفهم من هذا أنه لا يعترف بصحة نظرية المعرفة إلا في حدود إرجاعها إلى الإستمولوجيا، بل وبوجه أدق إلى تحليل العلم تحليلا منطقيا.

إن الفلاسفة الإستمولوجيين يرون أن علاقة الاستيمولوجيا بنظرية المعرفة هي من حيث المبدأ علاقة نوع بجنس، لأن الإستمولوجيا تقف عند البحث في صورة عامة من المعرفة هي نظرية المعرفة، وفي صورة خاصة هي المعرفة العلمية.³

ونفهم من هذا أن علاقة الإستمولوجيا بنظرية المعرفة بشكل أولي كأنها علاقة الجنس بالنوع، حيث أن الإستمولوجيا تقتصر على شكل وحيد من أشكال المعرفة، وهو المعرفة العلمية، وعلى الرغم من ذلك فإن التمييز سرعان ما يمحي عندما نرجع النوع إلى هذا الجنس وحده، كما هي الحال لدى المؤلفين الذين يطلقون تعبير المعرفة على المعرفة العلمية وحدها ويرون أن كل ما عدا ذلك لعب لفظي خلو من أي مدى معرفي.

كما إننا "إذا ذهبنا مع الطرح الذي يرى أن المعرفة هي بالأساس معرفة علمية كالوضعيين الجدد وما نتج عنهم من تجريبانية منطقية، وهذا ما تناولته الإستمولوجيا وهو

¹ أحمد حسن، المرجع السابق، ص 156.

² عبد القادر بشتة، المرجع السابق، ص 43.

³ محمد وقيدي، ماهي الإستمولوجيا؟، مرجع سابق، ص 13.

المعرفة العلمية، فإن كل نظرية في المعرفة هي نظرية في العلم بالأساس، وخلاف ذلك يكون لا معنى له، إن هذا الطرح هو ما يتبناه على سبيل المثال الفيلسوف المنطقي كرنا ب¹.

ونسنتج من كل هذا أن الإبستمولوجيا ونظرية المعرفة مترادفين، ذلك أن العلم والفكر العلمي، إنما ينشئ أحدهما الآخر بالتدرج ودون أن يبلغا حال الانجاز في تطور المجتمعات وفي نمو الفرد سواء بسواء، كما أن الإبستمولوجيا مجرد توحيدها بنظرية المعرفة، وإن كان اليوم لا يكاد يتسق مع الممارسة، فإنه لم يزل ناشطاً لدى الكثير من المؤلفين والفلاسفة.

المطلب الثاني: الإبستمولوجيا وفلسفة العلوم

إن التمييز بين الإبستمولوجيا وفلسفة العلوم عسير وصعب، وذلك لأن الإبستمولوجيا بالمعنى الأوسع هي فصل من فصول فلسفة العلوم، أو طرازاً من طرز ممارستها، كما أنه يصعب التمييز بينهم وهذا ما سنتناوله في طرحنا هذا:

فلسفة العلم بأوسع معانيها تدرس نظريات العلم لتأصيل وتوسيع نظرتها وإبراز قيمة ومنزلة العلم، بحيث إن نظرية العلم هي إحدى مباحث فلسفة العلم، فضلاً عن كونها ممارستها الفعلية، لهذا من الصعب التمييز بين نظرية العلم وفلسفة العلم وهذا حسب رأي "روبير بلانشي"².

وبهذا فإن فلسفة العلوم تبحث في أسس نظرية العلم، وذلك لتوسيع نظرتها، إذ تعتبر نظرية العلم جزء من فلسفة العلوم فهي تعتبر ممارستها لها أو طريقة خاصة من طرق معالجتها، ولا يمكن إنكار أن فلسفة العلم تدرس نظريات العلوم وموضوعاتها حتى تظهر قيمتها.

¹ روبر بلانشي، نظرية العلم (الإبستمولوجيا)، مصدر سابق، ص 16.

² أحمد حسن، مرجع سابق، ص 156.

كما أن التمييز بين نظرية العلم وفلسفة العلم يصبح من الأصعب بيانه بدقة، بسبب مطاطية هذه العبارة الأخيرة فإذا أخذنا بمعناها الواسع كانت نظرية العلم محتواة فيها كأحد أبوابها أو إحدى كفايات ممارستها.¹

الفلسفة تحيط بالإبستمولوجيا بشكل أو بآخر، بحيث عند الحديث عن الإبستمولوجيا وعلاقتها بفلسفة العلم هو حديث لا يمكن فصله عن العلاقة التي تربط الفلسفة بالعلم بوجه عام، خاصة وبما أننا نعلم أن العلوم نفسها قد قدمت المشاكل التي تواجهها والموضوعات التي تثيرها إلى الفلسفة التي وظيفتها الدائمة أيضا نقد المعرفة المتكونة في أنساق علمية بتحليل البناء العلمي للوقوف على حقيقة الأسس التي يقوم عليها وطبيعتها وقيمتها.²

بمعنى أن الإبستمولوجيا قد سعت إلى أن تكون علما مستقلا بذاته، وهذا بأن تبتعد شيئا فشيئا عن الطرح الفلسفي الذي يحاول أن يحتوي تطورات الفكر العلمي.

وعلاوة على ذلك فإنه "من الصعوبة بمكان أن تتخلص، نظرية العلم من الفلسفة بوجه عام، ومن التباين مع فلسفة العلم بوجه خاص، فإن الحديث عن نظرية العلم وعلاقتها بفلسفة العلم يعتبر حديث يفصم وشائج العلاقة بين الفلسفة والعلوم، كما أننا بهذا الصدد نلمس نفحات الفلسفة على نظرية العلم بشكل أو بآخر".³

كما أن في محاولة ضبط علاقة واضحة بين الإبستمولوجيا وفلسفة العلوم اختلفت وجهات النظر وتعددت الآراء كونها علاقة متداخلة فيما بينها تارة تتمحور حول أنها تكاملية متضمنة فيها أي الواحدة تحتوي الثانية بمعنى علاقة الجزء بالكل، وهذا ما أورده "أندريه لالاند" في تعريفه الاصطلاحي لمفهوم الإبستمولوجيا الذي تطرقنا إليه سابقا، بحيث نلاحظ أن

¹ روبر بلانشي، مصدر سابق، ص 21.

² محمد ثابت الفندي، فلسفة الرياضة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1969، ص 10.

³ أحمد حسن، المرجع السابق، ص 159.

"اللاندا" من خلال تأييده برأي المناطق الوضعيين في الإبتيمولوجيا أدى إلى تأثره بهم، وذلك الذي اشتمل على أنها تحليل منطقي لمختلف القضايا العلمية ووفق هذا التعريف المطروح نستنتج أن الإبتيمولوجيا ما هي إلا جزء من فلسفة العلوم، أي هي علاقة الجزء من الكل.¹

أي أن رغم اختلاف الآراء ووجهات النظر إلا أن علاقة الإبتيمولوجيا وفلسفة العلوم علاقة تكاملية أي علاقة الجزء بالكل، فهي جزء من فلسفة العلوم، فهما ينطلقان من نقطة وهي العلم.

وفي الأخير نستنتج أن العلاقة الحاصلة بين الإبتيمولوجيا وفلسفة العلوم كون هذه الأخيرة هي "أحد فروع الفلسفة الذي يهتم بدراسة الأسس الفلسفية والافتراضات والمضامين الموجودة ضمن العلوم المختلفة مثل الفيزياء والرياضيات والبيولوجيا..."، وتهدف بدورها إلى الدراسة التأملية في العلوم ونتائجها في الواقع من أجل محاولة تكوين ووصول إلى مجموعة من القوانين، ومن كل هذا إن الإبتيمولوجيا وفلسفة العلوم يلتقيان وينطلقان من نقطة واحدة ألا وهي العلم.

المطلب الثالث: الإبتيمولوجيا وعلم المناهج

الواقع إن علم المنهج هو مناهج، لأن لكل علم طريقته أو الوسيلة المنهجية التي يتم اعتمادها، فبعضها تجريبي وبعضها يتجاوز ذلك إلى الرياضيات، والأهم أن الميتودولوجيا لا تأتي قبل العلم إنما هي إتباع فلسفي للطريقة التي سار عليها العالم حتى وصل إلى النتيجة التي استندت بالنظر إلى مصداقية منهجه إلى تحول هذا المنهج إلى طريقة عامة تستدعي اعتبارها منهجا يستوجب التعميم علميا والدراسة فلسفيا، فالفيلسوف لا يعين للعالم المنهج بل يدرس بعد قيام العمل العلمي منهجه، كما يدمج تحليل الطرائق العلمية في الإبتيمولوجيا، إذ

¹روبير بلانشي، نظرية المعرفة العلمية (الإبتيمولوجيا)، مرجع سابق، ص16.

التفكير الإستيمولوجي يولد بسبب أزمات في العلم وعلاج هذه الأزمات يكون بواسطة مناهج جديدة. ومن هنا ينبغي أن نبين العلاقة بين علم المناهج والإستيمولوجيا وهذا ما سنتناوله في طرحنا هذا:

على حسب قول "جان بياجي" إن التفكير الإستيمولوجي يولد دائما بسبب أزمات العلم التي تنشأ بسبب خطأ في المناهج السابقة وتعالج باكتشاف مناهج جديدة، ومن هنا فإن الإستيمولوجيا هي بمثابة ميتودولوجيا (علم المناهج) من الدرجة الثانية.¹

أي أن المسائل التي تناولها التفكير الإستيمولوجي بالنقد فالمناهج العلمية ذاتها تبحث عن ثغراتها وتعمل على معالجتها، بمعنى أن الأخطاء الناتجة عن المناهج السابقة تؤدي إلى حدوث أزمات وهذه الأخيرة تؤدي إلى التفكير الإستيمولوجي، ويتم حلها من خلال مناهج جديدة، ومن هذا يمكننا أن نعتبر علم المناهج فرعا من فروع الإستيمولوجيا.

كما أنها تكمن العلاقة التي تربط الإستيمولوجيا بعلم المناهج أساسا في أن الإستيمولوجيا لا يمكن لها أن تستغني عن المنهج العلمي، لأن هذا الأخير هو الذي يحدد موضوع دراستها النقدية التي تتطلب مبدئيا معرفة بمناهج العلوم، بالإضافة إلى أنها مثلما تتناول الفرضيات وتبحث في أسس العلوم، فإنها تعالج مناهج العلوم وأسسها ومفاهيمها أولا، وإخضاعها ثانيا للدراسة النقدية.²

أي أن مناهج العلوم تساعد الإستيمولوجيا في دراسة ونقد مبادئ العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد قيمتها وموضوعيتها، كما أنها تبحث أيضا في أسس العلوم.

إذ أن من الصعب القيام بدراسة نقدية حول قيمة مختلف العلوم وأثرها الموضوعي وحول مبادئها، كما يضيف "اللانند" دون أن نتساءل في نفس الوقت عن طبيعة وقيمة الطرق

¹ محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 23-24.

² بيتر كونزمانوآخرون، المرجع السابق، ص 13.

التي تتبنى بها وتتوصل بها إلى معرفة لها قيمة موضوعية. لقد لاحظ "بياجي" Piaget بحق أن >التفكير الإستمولوجي يتولد دائما عند أزمت هذا العلم أو ذاك، وأن هذه الأزمت تسببها ثغرة في المناهج السابقة لكي يقع التغلب عليها بفضل اختراع مناهج جديدة> ولهذا فهو يدمج تحليل المناهج العلمية في نظرية العلم، وبالفعل فإن النوعيين من البحث يصعب الفصل بينهما.¹

وأياضا فإنه لا يمكن التمييز بين مناهج العلوم والإستمولوجيا تماما، حيث إن الإستمولوجيا تشمل دراسة المناهج العلمية، ذلك لأن دراستها النقدية تحتوي على دراسة مناهج العلوم، والأكيد هنا هو أنه لا يمكن اعتبار دراسة المناهج جزءا من المنطق، لأن هذا الأخير كما بينت الدراسات المعاصرة بعيد كل البعد عن الدراسات الميتودولوجية.²

نفهم من هذا أن الإستمولوجيا ترتبط بعلم المناهج من حيث دراستها النقدية لمبادئ العلوم.

نجد "لالاند" يرى أن كلمة الإستمولوجيا هي فلسفة العلوم، وهي في الأساس دراسة نقدية لمبادئ وفرضيات ونتائج مختلف العلوم، وبمعنى أدق فهي ليست دراسة المناهج العلمية التي هي موضوع علم المناهج.³

وفي الأخير نستنتج أن الإستمولوجيا وعلاقتها بالمجالات المعرفية كالنظرية المعرفية وفلسفة العلم فضلا عن مناهج العلم وكذا تاريخ العلم، وذلك من زاوية علمية معاصرة، رأى "بلانشي" أن الإستمولوجيا مرادفة لنظرية المعرفة، وأيضا تعتبر فلسفة العلوم فرعا من فروعها

¹روبير بلانشي، نظرية العلم(الإستمولوجيا)، مصدر سابق، ص27.

²محمد وقيدي، ماهي الإستمولوجيا؟، مرجع سابق، ص8.

³André Lalande، Vocabulaire technique et Critique de la philosophie، 5eme éd، p.u. f، Paris، France، 1999، volume 1، p293.

كونها تدرس الأسس الفلسفية الموجودة ضمن العلوم، وترتبط بعلم المناهج من دراسة المبادئ دراسة نقدية وذلك بواسطة منهج علمي.

خلاصة واستنتاجات:

ومن خلال هذا نلخص إلى عدة نقاط أهمها:

- أن العديد من المفكرين يرون أن كلمة الاستيمولوجيا تتحدر من أصل يوناني وتعني دراسة العلم أو نظرية العلم، أما من ناحية الاصطلاحية فلم نجد تعريف واحد محدد لها، بل كل حسب منظوره واتجاهه، فكل مفكر يقدم تعريفه بحسب استعماله لها.
- إن مفهوم مصطلح الاستيمولوجيا اختلف من مفكر إلى آخر في الفكر المعاصروالتالي هناك من يرى أنها مرادفة لنظرية العلم وهي الدراسة النقدية لمبادئ العلوم ومناهجها، وهذا استثنيا بعض المفكرين من أمثال "جان بياجي" الذي يتماشى طرحه مع الاتجاه الذي يرى أن الإستمولوجيا مرادفة لنظرية المعرفة.
- إن من أبرز المشاكل التي واجهت الإستمولوجيا هي الاختلاف في تحديد مفهومها وضبطه في سياق واحد، كما أنه أيضا تقسيم العلوم وتصنيفها كان عائقا من عوائق الاستيمولوجيا.
- صعوبة تعريفها يبدأ من علاقتها بالمجالات المعرفية الأخرى، لذلك توجب النظر علينا إليها من خلال تحديد علاقتها بنظرية المعرفة وكذا فلسفة العلم، فضلا عن مناهج العلم، وذلك من زاوية علمية معاصرة.

الفصل الثاني

بدايات الإستيمولوجيا عند روبير بلانشي

المبحث الأول: التعريف بروبير بلانشي وأهم فلسفته

المبحث الثاني: الإرهاصات الأولية والتطور التاريخي

للإستيمولوجيا

تمهيد:

إن الفيلسوف "روبير بلانشي" يعد من أبرز الفلاسفة المختصين في المنطق ومجال فلسفة العلوم، وتبلورت لديه فكرة تغيير الأفكار السابقة القديمة والتي عبر عنها بالإبستمولوجية التي من خلالها تجاوز الطرح التقليدي لمشكلة المعرفة، واهتمت دراسته بالعقلانية الرياضية وهذه الأخيرة تضع نفسها ضمن الفلسفات المعاصرة، وأيضا اهتمت دراسته بأصول الإبستمولوجيا وتطورها تاريخيا، فالإبستمولوجيا تعتبر مصطلح حديث النشأة ومفهومها التقليدي يحيلها إلى أنها أحد مباحث الفلسفة المتمثلة في نظرية المعرفة وهذه الأخيرة عرفت تطورا على مر العصور.

ومنه سأقدم في المبحث الأول تعريف بالعالم والفيلسوف "روبير بلانشي" وتبيان أهم فلسفته، أما في المبحث الثاني سأتطرق إلى التطور التاريخي للإبستمولوجيا.

المبحث الأول: التعريف بروبير بلانشي وأهم فلسفته

ولد العالم والفيلسوف الفرنسي "روبير بلانشي" سنة 1898م، درس المنطق وفلسفة الرياضيات، وهو صاحب نظرية العقلانية الرياضية، واهتمت دراسته بها، كما اهتم بالإبستمولوجيا وتطورها التاريخي عبر العصور، وفسر الواقع الفيزيائي تفسيراً إبستمولوجياً وأثارت كتاباته اهتماماً كبيراً في أنها تجاوزت العوائق العقلانية الكلاسيكية، فأعماله مثلت مصدراً هاماً التي يمكن إغفالها في المجال العلمي والفلسفي، ويرجع السبب إلى كثرة أعماله ومؤلفاته إلى أنه اتخذ البحث في المعرفة وأصولها.

ومنه سنبين أهم المحطات الحياتية لمسيرة العالم والفيلسوف روبير بلانشي في المطلب الأول. وبيان أهم أعماله ومؤلفاته في المطلب الثاني.

المطلب الأول: حياة ومسيرة الفيلسوف روبير بلانشي

إن "روبير بلانشي" Robert Blanché فيلسوف ومنطقي فرنسي (1898-1975م) رياضي وإبستمولوجي، اهتم كثيراً بالمنطق الصوري بوجهيه القديم والحديث، وبفلسفة العلم، فصار فيلسوفاً يتحرك في مجال العلم برؤية المنطقي العارف بدلالة المعطيات العلمية¹.

وكان أستاذاً شرفياً في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بـ <تولوز> (فرنسا).²

حيث أنه بدأ حياته الفكرية بتأملات وثيقة الصلة بالميتافيزيقا حول العلم الفيزيائي والواقع (1946) والمسالك المثالية (1948)، اشتهر بكتبه في المنطق الرياضي وفي الإبستمولوجيا وبمقاومته لتكثير الأنساق المنطقية الحديثة في ضوء قواعد (علم الدلالة)

¹ روبير بلانشي، نظرية العلم (الإبستمولوجيا)، مصدر سابق، ص3.

² روبير بلانشي، الأكسيومية أو منظومة الأوليات، تعريب: محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، صفاقس - تونس، ط1، 2004، ص6.

والاستعاضة عنها بما يسميه (المنطق الفكري) الذي من شأنه أن يزيل التعارض بين المنطق المصورن والمنطق الطبيعي"¹.

ومن أهم آثاره التي تمثلت في العديد من المؤلفات الإبستمولوجية نذكر:

- الأكسيوماتيك (1955).
- مدخل المنطق المعاصر (1975).
- البنيات العقلية (1966).
- العلم الراهن والعقلانية (1967).
- العقل والخطاب (دفاع عن المنطق الفكري) (Raison et Discours (Défense de La Logique Réflexive، وهو "الذي يصرح فيه بأنه دفاع عن المنطق الفكري أي عن المنطق الذي تجرى عملياته باستعمال المعاني والأفكار"².
- المنطق وتاريخه من أرسطو إلى راسل (1971).
- نظرية العلم (الإبستمولوجيا) (L' épistémologie –) L' épistémologie (1972, que sais je?)، وهو "كتاب تعليمي يقدم لطالب الفلسفة بلغة دقيقة وترتيب منهجي تربوي، أهم مفاصل (نظرية العلم)"³.
- الاستقراء العلمي والقوانين الطبيعية (1975).

¹ محمود يعقوبي، المرجع السابق، ص 198.

² روبير بلانشي، العقل والخطاب دفاع عن المنطق الفكري، ترجمة: محمد يعقوبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009، ص 3.

³ روبير بلانشي، نظرية العلم (الإبستمولوجيا)، مصدر سابق، ص 4.

- الاستدلال.

المطلب الثاني: فلسفة روبير بلانشي

إن أهم ما ميز فلسفة "روبير بلانشي" هو البحث عن أفكار جديدة مغايرة للأفكار السابقة التي كانت سائدة آنذاك، وهذا ما أكده منذ البداية، فلسفة "روبير بلانشي" لم تكن موقف فلسفي منعزلاً، بل تسير وفق تيار فلسفي أسهم العديد من الفلاسفة المعاصرين في بلورته، ونجدها تتميز:

• أنها موقف قائم على الوعي بنتائج الثورة العلمية وما أحدثته من انقلاب في المفاهيم التي يستخدمها الخطاب الفلسفي والخطاب العلمي، متجاوزا العوائق العقلانية الكلاسيكية ومشيراً إلى دور العلم الرياضي في بناء المعرفة الفلسفية، لهذا سمي عقلانية روبير بلانشي بالعقلانية الرياضية.

• أنها ترفض فكرة قبلية المعرفة أو القول بفطرية الأفكار، بل تقول بوظيفة التصورات وهذا الموقف نجده عند "باشلار" و"بلانشي".

• نجد أنها ترفض باعتبار الواقع كمعطى، بل هو نتيجة لإضفاء صفة الموضوعية والعقلانية عليه كونه الواقع أصبح بناء عقلانيا وتقنيا في الآن نفسه.

• المكانة التي يحتلها العلم الرياضي فيها.

• عقلانية بلانشي الرياضية بأنها في الوقت التي تضع نفسها ضمن الفلسفات المعاصرة فإنها تنتقد تيارات فلسفية متعارضة وتحاول أن تتجاوزها وهي العقلانية الكلاسيكية، الواقعية، الوضعية، كونها اتجاهات لا تمثل الفلسفة المطابقة للعلم ونتائج¹.

• اشتهر بأعماله في التعريف بالمنطق الرياضي وبالإبستمولوجيا (نظرية العلم)².

¹ محمد وقيددي: ماهي الإبستمولوجيا؟، مرجع سابق، ص 186.

² روبير بلانشي، الاستدلال، تر: محمود يعقوبي، دار الكتاب الحديث، د ط، 1973، ص 1.

- دعا إلى عدم الفصل بين دراسة الصورية ومشكلة المعرفة في الفلسفة.¹

المبحث الثاني: الإرهاصات الأولية والتطور التاريخي للإبستمولوجيا

عرفت المعرفة تطورا جذريا على مر العصور، وذلك من خلال اهتمام جل الفلاسفة في دراسة هذه المشكلة محاولين من خلالها إبراز أهم النقاط التي تساعدنا في الوصول إلى مختلف المعارف الانسانية، فقد طرأت عليها تغيرات وتعديلات أثناء تطور الفلاسفة، وعبر تاريخها الطويل، فهي ليست وليدة عصر ما أو فيلسوف ما بل هي مفهوم يتطور دائما، ومع هذا التطور الفكري جعلهم يجددون من البحث المعرفي الإنساني إلى معرفة علمية توصلوا من خلالها إلى مصطلح الإبستمولوجيا وهذا ما سنراه خلال تقديمنا لأفكار الفلاسفة عبر العصور. ومنه سنقسم المبحث الثاني إلى ثلاث مطالب بحيث سندرس في المطلب الأول الإبستمولوجيا في العصر القديم، وسنبحث في المطلب الثاني عن الإبستمولوجيا في العصر الحديث، وفي المطلب الثالث عن الإبستمولوجيا في العصر المعاصر، وذلك كله من خلال التركيز على قراءة "روبير بلانشي" التاريخية لأصول الإبستمولوجيا.

المطلب الأول: الإبستمولوجيا في العصر القديم

إن الإبستمولوجيا إذا أخذنا مفهومها التقليدي الذي يعرفها على أنها أحد مباحث الفلسفة، وهي نظرية المعرفة، مصطلح جديد وحديث العهد، بحيث تم تأسيسه فعليا في مطلع القرن العشرين، وممارسته التاريخية قديمة جدا، فاختلف والتنوع المعرفي للفلسفة يشهد على ذلك، حيث أن كبار الفلاسفة قدموا أطروحاتهم حول الإبستمولوجيا وأهم البوادر التي تدل على قدم ممارسة الكلمة وما تحويه من نقد وتعليق.

¹ المصدر نفسه، ص 6.

من هنا سأقدم أهم أطروحات كبار الفلاسفة التي تدل على أن ممارسة الإبستمولوجيا قديمة جدا وأن أبحاثهم التي قدموها تحمل طابعا ابستمولوجيا، ثم نذهب إلى طرح "روبير بلانشي" حول بداية ممارسة الابستمولوجيا في هذا العصر.

استمد أفلاطون أربعة أنواع في نظريته للمعرفة وهذه الأنواع ترتب بعضها فوق بعض تتأتى النفس من الواحد إلى الذي يليه بحركة ضرورية إلى أن تطمئن عند الأخير، وهي الأول الإحساس يختص بإدراك ظواهر الأشياء والأجسام والأمور النفسية أو أشباحها في اليقظة وصورها في المنام، أما الثاني فهو الظن ويقصد به الحكم على المحسوسات بما هي كذلك، الثالث الاستدلال هو علم الماهيات الرياضية المتحققة في المحسوسات، الرابع التعقل هو إدراك الماهيات المجردة في كل مادة.¹

أي أن المعرفة عند "أفلاطون" تتركز على أربعة أسس وهي الحس والظن والاستدلال واليقين، وهذه المعرفة تساعدنا على استنكار المثل التي هي أساس فلسفته، كما أنها تستخدم العقل للوصول إلى الحقيقة في أسمى غاياتها.

كما نجد أن مصطلح الإبستمولوجيا جديد وحديث النشأة، فهو لا يوجد في معجم <لاروس> الجديد ولا في معجم <ليتر>، وعلى الرغم من هذا المصطلح قد ظهر فقط في ملحق لاروس حيث في ذلك الوقت معجم لالاند يهيا للظهور.²

ويقصد هنا أن لفظ الإبستمولوجيا جديد، فهو لم يذكر في المعاجم إلا أن ممارسته في دراسة المبادئ والعلوم وفروعها ونتائجها تعتبر قديمة، بحيث اللفظ حديث معاصر.

إن الإبستمولوجيا مصطلح حديث العهد، تم تأسيسه فعليا في القرن العشرين، بحيث أن ممارستها النظرية من الناحية التاريخية نجدها قديمة قدم الكلمة، ومفهومها التقليدي يحيلها

¹ محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال، دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، دس، دط، ص 151.

² محمد عوض الترتوري، المرجع السابق، ص 118.

إلى أنها أحد مباحث الفلسفة المتمثلة في نظرية المعرفة، فتاريخ الفلسفة بكل ما تحمله موضوعاتها من اختلاف وتنوع معرفي يشهد على ذلك، حيث إن أطروحات الفلاسفة الكبار التي قدموها كانت مبنية على النقد والتعليق ومناقشة أطروحات وأفكار غيرهم من الفلاسفة السابقين، وعلى الرغم من أنه لا أحد منهم كان يعلم أنه قد قام بدراسة إبستمولوجية، إلا أن أبحاثهم تلك التي قدموها تحمل طابعا إبستمولوجيا جدير بالاعتراف.¹

نفهم من هذا أن مصطلح الإبستمولوجيا جديد ولكن من ناحية الممارسة النظرية له جذور وامتدادات، كما نجد الفلاسفة القدامى استخدموا النقد والتحليل دون أن يعرفوا أنهم كانوا يقدمون دراسات ذات دلالة إبستمولوجية بمفهومها المعاصر.

كما أن "أفلاطون" كانت بدايته في عرض فلسفته التي تبحث في نظرية المعرفة على أساسا هدم لما هو مألوف عند معاصريه، خاصة آراء السوفسطائيين من أمثال "بروتاغوراس" الذين كانوا يعتقدون بأن المعرفة هي الإدراك الحسي، في حين أن هذا الأخير عند "أفلاطون" ليس هو العلم بالمعنى الحقيقي، وإن هذا الدور - دور التأسيس - سيكون إذن دورا سلبيا من ناحية، وإيجابيا من ناحية أخرى: سنجد سلبيا فيما يتصل بنقد الرأي الشائع وبنقد السوفسطائيين، وسنجد إيجابيا حينما يبين لنا أفلاطون منهجه الجديد الذي على أساسه سيضع فلسفته.²

أي أن "أفلاطون" يرمي إلى أن المعرفة ليست إدراكا حسيا ولا ظنا صادقا أي أنه رفض المعرفة الحسية وقدم المعرفة العقلية عن التجريبية، وفي هذا السياق نقد آراء السوفسطائيين وهنا نلمس السمة الإبستمولوجية ونجدها موجودة على مر التاريخ عند أفلاطون وحتى قبل "أفلاطون".

¹ أحمد ملاح، المختصر في تاريخ الإبستمولوجيا، مختبر الفلسفة وتاريخها، دار القدس العربي، وهران-الجزائر، د ط، 2010، ص 21.

² عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1984، ص 157.

وأيضاً نجد أن السفسطائيين قد اتخذوا من الجدل منهجاً لمناقشة الموضوعات ومناقشة المعارف معتمدين على النقد للإمام بكل ما يخص المعرفة، إذ نلاحظ أنهم تناولوا إبستمولوجيا عملية.¹

ومن ثمة ظهر "أرسطو" من بعد أستاذه "أفلاطون" فذهب إلى أن وسائل اكتساب المعرفة لدى الإنسان والحيوان تعتمد بداية على عمل الحواس، فالإدراك الحسي هو أول خطوات المعرفة، متجهاً بدوره إلى الاشتغال بمسألة المعرفة كونه أراد البحث عن وسائل المعرفة الإنسانية، ومدى صحتهم في الوصول إلى المعرفة اليقينية.²

بمعنى أنه قدم النفس في تشكيل عملية الإحساس، وهذا ليتكون لدينا مجموعة من تجريدات يدركها العقل، "إن تعاليم علم النفس تلتقي هنا مع تعاليم (نظرية العلم) épistémologie"³.

كما نجد رسالة "سقراط" التي احتوت على محاولته أن يجعل المعارف والأفكار وكأنها من عائلة الفكر الرياضي. وهنا نلمس مساهمة في الإبستمولوجيا، أي أنه اشتغل في نظرية التعريف للمفاهيم وهذا كان ضمن إطار الإبستمولوجيا المنطقية، كما أن أفلاطون في محاورته الأخيرة جعل موضوعها الأساسي تعريف كلمة <معرفة>، ومن الشخصيات المحاوره له "سقراط" في-محاوره تيتياتوس- التي حملت معالم الإبستمولوجيا؛ شاب اسمه تيتياتوس متحمس وبارع

¹ محمد صقر حقاچه، النقد الأدبي عند اليونان من هوميروس إلى أفلاطون، ج1، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، د ط، 1981، ص187.

² عبد الكريم عبد الكريم، تاريخ أرسطو، رؤيا بيديا، المحرر: أحمد عكاش، الرابط: Roayapedia.org/index.php

³ روبر بلانشي، العقل والخطاب دفاع عن المنطق الفكري، المصدر السابق، 119.

في الرياضيات وعجوز كلاهما ضد سقراط وفكرته لكن باستخدام عقله ومناقشته لهما، توصل سقراط إلى تعريف صحيح للمعرفة عن طريق الحوار بين هاذين شخصين.¹

أي أن "سقراط" أراد وضع مفاهيم وتعريفات للأفكار المعرفية وتعريف المفاهيم الرياضية بدقة، وهذا ما حملته رسالة سقراط فجعل المعارف والأفكار كأنها من عائلة الفكر الرياضي، وهنا نلمس مساهمته في الإبستمولوجيا.

كما نجد سقراط يضع المعرفة الحقة في العقل ويجعل موضوعها الماهية المجردة الضرورية، أي أن الإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره.²

وبذلك فهو قد فصل بين المعرفة الحسية والعقلية وأسبقية العقل على الحس.

فصل سقراط بين موضوع العقل وموضوع الحس، بحيث رأى أن العقل هو سبيل لبلوغ المعارف بعيد عن الحواس وأن الإنسان قوة عقله هي التي تسيطر على الحس وأخطائه. إذ بين أنه إذا كان اللفظ الذي جعلناه سندا للعملية الفكرية هو بهذه الأهمية كلها وهذه الخطورة كلها فلا مناص لنا من دقة تعريفه تعريفاً يتساوى في دقته مع تعريفنا للمفاهيم الرياضية كالمثلث والمربع.³

بمعنى أن الحواس محدودة في عملية المعرفة، والعقل قادر على تحليل ما تعطيه الحواس ويبني منه ما يسمى بالمعرفة، فالعقل مشترك بين جميع الناس يميز الإنسان عن سائر المخلوقات لذا هو قادر على تحصيل الإمكانيات المعرفية، وهذا ما جعل "سقراط" يفصل بين العقل والحس ويضع كل اهتمامه على العقل.

¹محمود زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، مكتبة المنتبي، المملكة العربية السعودية، د ط، 2012، ص 17.

²يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار المحرر الأدبي، مصر، د ط، 1958، ص 69.

³زكي نجيب محمود، حصاد السنين، دار الشروق، مصر، ط6، 2018، ص 41.

ونجد أن تركيز أشهر فلاسفة العرب واهتمامهم بالدراسات العميقة حول بنية المعرفة العلمية، كان سببا في الوعي وضرورة أحداث خطوة علمية تكون مكملة وتابعة للخطوات السابقة، وأكدوا أيضا على بناء دراسة المعرفة العلمية على مستوى موضوعاتها ومناهجها ونظرياتها وعوائقها ومراحلها وكل ما يخص هذه المعرفة العلمية، وبدراستهم هذه نلمس دليلا على وجود النظرة الإبستمولوجيا للمعرفة العلمية في تاريخ علوم العرب قبل ظهور مصطلح الإبستمولوجيا.¹

كما نجد "أرسطو" انتقد نظرية أستاذه "أفلاطون" الذي رأى أن المعرفة لا يمكن لها أن تعتمد على الحواس لأنها خادعة وتوصلنا إلى معرفة نسبية أيضا وبالتالي يعتبر هذا الطابع ابستيمي، حيث أعاب عليه استخدامه للمنهج المثالي الذي اتخذه ذريعة للمعرفة الخالدة، وما برح أن قدم البديل المنهجي الذي يتخذ من الواقع الحسي مصدرا.²

أي أن "أرسطو" نقد أستاذه "أفلاطون" الذي كان يرى أن سبيل الوصول إلى الحقيقة يكون عن طريق عالم المثل، وأيضا كان ينظر إلى العقل على أنه هو مصدر المعرفة، حيث خالفه "أرسطو" في ذلك ورأى أن مصدر المعرفة يكمن في الواقع الحسي.

أما بالنسبة إلى الفيلسوف "روبير بلانشي" فإن طرحه الذي يخص أهم بؤادر الإبستمولوجيا في هذا العصر كان كالاتي:

إن كلمة الإبستمولوجيا التي تعني حرفيا (نظرية العلم) كلمة قريبة العهد، فإنه يرجع ظهورها في المعاجم الفرنسية إلى ذيل المعجم illustré لسنة 1906.³

¹ ادريس نغش الجابري، العلوم الاسلامية والنظر الإبستمولوجي، مجلة الدليل، العدد 1، د ب، 2013، ص 1.

² أحمد ملاح، المختصر في تاريخ الإبستمولوجيا، منشورات مختبر الفلسفة وتاريخها، دار القدس العربي، وهران - الجزائر، د ط، 2010، ص 18.

³ روبر بلانشي، نظرية العلم (الإبستمولوجيا)، مصدر سابق، ص 9.

فإذا كانت كلمة الإبستمولوجيا جديدة، بحيث أن ما تضمنته يعتبر أيضا قديما جدا، ويؤكد معجم "روبير" أن لفظ الإبستمولوجيا ظهر في المعاجم التي كتبت باللغة الفرنسية بحيث يعود إلى معجم لاروس، وبهذا اعتبر لفظ الإبستمولوجيا حديث غير موفق إلا أن كل ماتحتويه يعتبر قديما.¹

وبالعودة إلى إحدى محاورات أفلاطون وهي محاوره "تيتياتوس" فإننا نجد فعلا نظرية في العلم، وإن نظرية العلم تتطابق مع الإبستمولوجيا وتأخذ طابعا ابستميا (نقديا) "وما نقد أفلاطون للمعرفة الحسية إلا دليل على أنه عمل الإبستمولوجيا بالمفهوم المعاصر أن مبطنا في تاريخ الفلسفة، باعتبارها ممارسة حول المعرفة من النقد والتركيب والتحليل وغير ذلك".²

أي أن "أفلاطون" نقد الحس ورأى أن العقل هو الطريق المؤدي للمعرفة وبدوره هنا مارس النقد والتحليل، وهذا يؤكد أن الإبستمولوجيا موجودة على مر التاريخ، لأن الفلسفة والإبستمولوجيا أساسها النقد والتحليل والتركيب.

أي أن لفظ الإبستمولوجيا جديد ولم يكن معروفا ولا مستخدما لكن ما تحتويه قديما، لأنها احتوت في دراساتها على النقد.

ومنه نستنتج أن الإبستمولوجيا لها جذور وامتدادات لدى كبار الفلاسفة القدامى وذلك من خلال استعمالهم للنقد والتحليل ولعب أساس معارف العديد من الفلاسفة واعتمد التفكير الفلسفي على مبادئ العقل وهنا تظهر أولى بوادر الإبستمولوجيا لأن النقد والتحليل من أوجه الإبستمولوجيا.

¹ روبير بلانشي، نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)، مصدر سابق، ص 35.

² أحمد حسن، المرجع السابق، ص 151.

المطلب الثاني: الإبستمولوجيا في العصر الحديث

إن ما ميّز العصر الحديث هو ذلك الصراع الذي قام بين العقلانيين والتجريبيين حول مصدرية المعرفة، فكل منهما نادى بنظريته وحاول إثبات صدقها، وذلك من خلال تقديمهم لحجج وبراهين تدعم أقوالهم، فأخذنا كمثال الفيلسوف العقلي الفرنسي "ديكارت" الذي كان من المعارضين للحواس واعتبرهم خادعين وأنها لا تؤدي إلى معرفة صحيحة.

بحيث سنعرض طرح فلاسفة هذا العصر ودراساتهم التي تدل على عمل الإبستمولوجيا في العصر الحديث، ثم نعرض رأي "روبير بلانشي" وطرحه بخصوص الإبستمولوجيا في هذا العصر.

لاحظ "ديكارت" بأن العقل يمتلك مبادئ وأفكار قبلية، فاعتبرها بديهية يشترك فيها جميع الناس سماها بالأفكار الفطرية، يتزود بها عن طريق ميولات واستعدادات. فهذه الأفكار تقوم على عمليتان يذكرهما "ديكارت": الحدس والاستنباط بهما يتوصل العقل إلى معرفة علمية وتساعده على معرفة حقيقة الأشياء دون الوقوع في الخطأ.¹

أي أن "ديكارت" يرى في فلسفته أن شهادة الحواس غير مؤكدة ولا بد من الشك فيها وأن العقل مزود بأفكار قبلية فطرية تظهر جراء الميولات.

لقد أتى "ديكارت" بخطاب فلسفي جديد يدعو إلى اعتماد العقل في بلوغ الحقيقة الصحيحة، ومن بين أهم المسائل التي تناولها هي مسألة المعرفة وركز على مشروعه الإبستمولوجي في كتابه تأملات الفلسفة الأولى بحيث كانت عقلانيتهالديكارتية الممهدة لظهور

¹محمد فتحيا الشنيطي، المعرفة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط4، 1971، ص95.

الإبستمولوجيا، وقد كانت فلسفته فلسفة عقلانية بحتة، والأهم من ذلك هو أن المنهج الديكارتي قد عكس "طموح العلم الإنساني في مرحلة معينة من تطوره، وكذلك معايير الحقيقة"¹.

أي أن "ديكارت" وضع منهجا تمهيدا لظهور الإبستمولوجيا بمنهج عقلاني خاطب العلم مباشرة وهذا الأخير دعى إلى اعتماد العقل لبلوغ الحقيقة، وبهذا فقد فصل بين العقل والحواس.

إن "ديكارت" في نظره الفلسفة الصحيحة هي التي تعتمد على منهج دقيق يتصف بالصدق واليقين في نتائجها وهذا وضع منهج يوصلنا إلى الحقيقة وتطبيقه على الفلسفة من أجل الحصول على دقة نتائجها تماما كنتائج الرياضيات، ولم يجد أجدر من المنهج الرياضي.²

أي أنه وضع منهجا للوصول إلى معرفة يقينية، فكان هذا المنهج "منهج رياضي" وطبقه على الفلسفة لأن نتائجه دقيقة كالرياضيات، واعتمده من أجل إزالة الأفكار المشكوك فيها ويعيد اثباتها من أجل بنائها على أساس متين وقوي.

كما نجد أيضا الفيلسوف "سبينوزا" (1632-1677) الذي اطلع إلى صياغة إبستمولوجياته على صورة موديل هندسي وقد نجح في كتابه مبادئ الأخلاق على صورة مصنفات هندسية أي الأخلاق المبرهنة على الطريقة الهندسية.³

من هنا فإن الفيلسوف "سبينوزا" كانت إبستمولوجيته تحتوي على الهندسة، ودرس الأخلاق ومبادئها على الطريقة الهندسية.

أما بالنسبة إلى "غاليلي" (1564-1642م) فقد هاجم الفيزياء القديمة الأرسطية في نظرية الحركة التي مفادها أن الجسم يسقط بقوة تعادل وزنه، أي كلما كان الجسم أثقل من

¹ محمد وقيدى، ما هي الإبستمولوجيا؟، المرجع السابق، ص 80.

² مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه دراسة تحليلية ونقدية، دار الطليعة للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1982، ص 104.

³ عناني نور الدين، محاضرة الإبستمولوجيا الكلاسيكية، مقياس الإبستمولوجيا، معهد التربية البدنية، جامعة وهران الجزائر، دس، ص 3.

الجسم الآخر سقط بسرعة أكبر، هنا "غاليلي" غير سؤال "أرسطو" الذي هو لماذا تسقط الأجسام؟ إلى كيف تسقط الأجسام؟ وقد أجب عن سؤاله هذا بالاعتماد على التجربة المباشرة والرياضيات لتفسير الحركة.¹

وبذلك فهو اعتمد على الملاحظة والرياضيات لفهم الطبيعة وتفسير حركتها.

وهنا "غاليلي" يبين أن المنهج العلمي الصحيح يقوم على سيادة العقل عن التجربة بحيث أساس العلم الطبيعي الرياضيات وأن العلم ليس بغاية وصف الطبيعة فقط بل مهمته تحويلها إلى قوانين رياضية تتسم بالدقة واليقين، أي هنا حرر العلم من الظن والحكم المسبق ورده إلى العقل والذي يبلغ ذروته مع ديكارت فيما بعد.²

إذ انه اعتمد على لغة العلم الرياضي لدراسة الطبيعة وذلك لأن القوانين الرياضية تتصف بالدقة واليقين، كما أنه رد العلم إلى العقل وحرره من التجربة والشك.

اعتمد في نظريته المستمدة من الفيزياء الرياضية على الملاحظة والرياضيات في فهم الطبيعة ودراستها، وقد اعتمد في ذلك على المنهج الفرضي الاستنباطي الذي يحتوي على التجربة والرياضيات معا.³

أي أنه اعتمد على لغة العلم الطبيعي المتمثلة في الكيف ولغة العلم الرياضي المتمثلة في الكم.

حيث إن "بيكون" اتجه إلى تناول المعرفة بأسلوب جديد هو أسلوب النقدي متخليا عن القياس الأرسطي ومتبينا النقد، حيث رأى "بيكون" أنه لا بد للعقل التخلص من الأوهام متى يتسنى له سيادة الطبيعة، ولا بد من اعتماده على التجربة والتخلص من النصوص القديمة، واتي

¹ ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم - المنطق الاستقرائي، المشكلات المعرفية، ج1، صص 84-85.
² سالم يافوت، فلسفة العلم المعاصر ومفهومها للواقع، دار الطبيعة، بيروت، ط1، 1982، صص 143-144.
³ محمود زيدان، مناهج البحث في العلوم الطبيعية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 1990، ص6.

بفكر جديد قائم على التجريب والاستقراء وبين أنه لا يمكن التحقق من صدق القضايا إلا بمناهج العلم.¹

وبعد طرحنا لفلسفة هذا العصر، سنقدم طرح الفيلسوف "روبير بلانشي" في العصر الحديث:

إن بداية الفلسفة الحديثة التي كانت مع "ديكارت" و"بيكون" كانت ناجمة عن خطاب مباشر للعلم، ونقصد بذلك هندسة إقليدس (Euclide) وفيزياء "غاليلي" (Galilée)، وعلى هذا النحو سارت العقلانية الكبرى مع "سبينوزا" (Spinoza) في "إصلاح الفهم" والأخلاق المبرهنة على الطريقة الهندسية، كما نلمسها عند مالبرانش (Malebranche) في "البحث عن الحقيقة".²

أي أن "ديكارت" حاول إيجاد منهج كامل يقود العقل الإنساني إلى إدراك الحقيقة، فوضع المنهج الرياضي لأنه تبين له أنه منهج كامل وذلك لكي يستغل العقل دقة ووضوح هذا المنهج لحل القضايا التي تواجهه.

إن العقلانية الديكارتية في مجملها مستلهمة من المنهج الرياضي بشقيه لذلك يمكننا القول إن التفكير في الميتافيزيقا عند "ديكارت" يتم وفقا لمقتضيات المنهج الرياضي. وهو الأمر الذي ينطبق كذلك على ما يعرف بالعقلانية الكبرى التي يمثلها كل من سبينوزا وليبينتز، كل هذا شكل إرهاصات أولية لما يعرف بنظرية العلم أو الإبستمولوجيا، والتي اتضحت أكثر مع الكتاب الرابع من "محاولة الفهم البشري" للوك (Locke)، وردت فعل "ليبينتز" عليه في كتابه

¹ داود خليفة، ابستمولوجيا التعقيد دراسة ليرادغيم التعقيد والفكر المركب لدى ادغر موران، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2015/2016، ص ص32-34.

² أحمد حسن، المرجع السابق، ص ص151-152.

"محاولات جديدة" هذا الأخير الذي قال عنه (Gérard Eschat): "لقد أبعد التفكير الحديث حول المعرفة كانط ليعود إلى ليبينتز الذي يبدو قبولاً ليكون نموذج الإبستمولوجيا الجديد".¹ أي أن "ديكارت" عرف بمساهماته في نظرية المعرفة والعقلانية، واعتمد على الشك، بحيث دراساته كانت بداية للإبستمولوجيا، لأن العقلانية مثلها "ليبينتز" وهو يعد نموذج جديد للإبستمولوجيا.

إن "غاليلو" أعطى دفعة قوية في القرن السابع عشر للعلم الحديث، دليل على عمل العلم بمعناه الضيق، كما أنه لم يستقل استقلالاً كافياً عن الفلسفة والدليل على ذلك أعمال كل من نيوتن وديكارت في الكتابة في العلم تحت عنوان "مبادئ الفلسفة"².

أي أن العلم ظل مرتبطاً بالفلسفة بحيث حافظ على الدوام بشيء من المعنى الواسع الذي كان يختلط بمعنى الفلسفة.

بالإضافة إلى "جون لوك" (1632-1704) الذي يعد كتابه "محاولة في الفهم البشري" أول محاولة علمية في مجال نظرية المعرفة، ويحتوي على عدة إشارات وإرهاصات أولية لما يعرف بنظرية العلم.³

نفهم من هذا أن "لوك" اتخذ من نظرية المعرفة سبيلاً للإجابة عن المشكلات الفلسفية القديمة، فدعا في كتابه محاولة في الفهم البشري إلى دراسة حدود المعرفة البشرية أولاً ثم اكتساب المعرفة ثانياً، فقبل اكتساب المعرفة يجب معرفة مدى قدرة العقل البشري على حصول معلومات التي يسعى إليها لأن لوك اعتبر هذه الطريقة هي الطريق السليم الذي يوصله إلى معرفة صحيحة، فالعقل عنده يستحيل دراسته من ناحية الطبيعة بل دراسته من حيث عمله.

¹ أحمد حسن، المرجع السابق، ص 152.

² روبرت بلانشي، نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)، مصدر سابق، ص 35.

³ أحمد حسن، المرجع السابق، ص 152.

أما "فرنسيس بيكون" (1561-1626م)، والذي من خلال مؤلفه (الأورغانون الجديد) والذي يرى فيه بداية جديدة حيث يكون العلم من نمط جديد هو التجريب، فقد عمل على إصلاح الفكر، وكل هذا كان هذا من خلال مؤلفاته الأورغانون الجديد.¹

حيث رأى أنه لا بد للعقل التخلص من الأوهام، ولا بد من اعتماده على التجربة والتخلص من النصوص القديمة، فتناول المعرفة بأسلوب جديد هو أسلوب النقد، ويكون هو أول فيلسوف يستعمل الأسلوب النقدي أي أنه نقد الفكر القديم واتى بفكر جديد.

وبهذا فإن الفكر الحديث كان ناتج عن خطاب مباشر للعلم، حيث إن كل من عقلانية "ديكارت والأورغانون الجديد لـ"فرنسيس بيكون" في العصر الحديث كانت ناجمة عن خطاب مباشر للعلم، والمقصود هنا هندسة "أقليدس" وفيزياء "غاليلي".²

في الأخير نستنتج أن نظرية المعرفة أخذت حيزا كبيرا في تاريخ الفلسفة وعرفت تطورا عبر العصور وذلك بدراسة الطبيعة والمبادئ بواسطة النقد والتحليل والتركيب، كما استخدموا أيضا المنطق الرياضي لأن قوانينه دقيقة ويقينية حتى توصلوا إلى ما يسمى بالإبستمولوجيا واستعمالها كان حديثا، ونستنتج أيضا أن "روبير بلانشي" درس وعرض أهم إرهابات نظرية العلم (الإبستمولوجيا) في هذا العصر وتجلت ذلك في كتابه المعنون بـ "نظرية العلم (الإبستمولوجيا)".

المطلب الثالث: الإبستمولوجيا في العصر المعاصر

كل ما سبق ذكره شكل إرهابات وبوادر وتباشير لنظرية العلم (الإبستمولوجيا)، غير أن هذه الأخيرة وجدت مكانتها الحقيقية مع ما يعرف بأزمة الأسس وظهور الهندسات الـإقليدية،

¹ أحمد حسن، المرجع السابق، ص 151.

² المرجع نفسه، ص 197.

وبما أن الأزمة التي تعرض لها الفكر المعاصر لم تكن أزمة رياضية فقط، بل هي أزمة تقاسمها كل من العلم الرياضي والعلم الفيزيائي على حد سواء، فقد حاول علماء وفلاسفة أمثال "أوستوالد" و"ماخ" (Mach) بالنسبة إلى ألمانيا و"بيرس" (Peirce) و"بيرسن" (Pearson) بالنسبة إلى البلدان الناطقة باللغة الانجليزية إنقاذ الفيزياء الحديثة من أزمته الخطيرة عن طريق مدها بالنظرية العلمية المناسبة.¹

أي أن أزمة الأسس والهندسات الإقليدية كانت سببا في ظهور الإبستمولوجيا، وهذه الأزمة تعرض لها الفكر المعاصر وتقاسمها العلم الرياضي والفيزيائي.

نجد "روبير بلانشي" يرى أفضل نموذج لنظرية العلم هو كتاب "خطاب التمهيدي لدائرة المعارف" لـ"الامبير (D'Alembert)، وكذلك الحال بالنسبة إلى كل من الجزء الثاني من كتاب (ديوغالد ستوارت) (Dugald Stewart) "فلسفة الذهن البشري"، بالإضافة إلى "الخطاب التمهيدي لدراسة الفلسفة الطبيعية" لجون هرشل (John Herschel) وكذا "دروس الفلسفة الوضعية" لأوغست كونت (Auguste Comte)، كل هذه الكتب تعتبر بمثابة بؤادير وتباشير لظهور الإبستمولوجيا بمفهومها المعاصر.²

أي أن هذه أفضل كتب تمثل بشكل مبين أفضل ما ستكونه نظرية العلم، والتي احتوت على أهم بؤادير ظهور الإبستمولوجيا المعاصرة.

كما نجد أيضا الكتابان الرئيسيان اللذين نعهما طوعا، بداية لما نسميه اليوم (ابستمولوجيا) بحيث ظهرا في الثلث الثاني من القرن في آن واحد تقريبا: أحدهما يتعلق بالعلمين الصوريين المنطق والرياضيات وهو كتاب (برنار بولزانو) Bernard

¹ أحمد حسن، المرجع السابق، ص154.

² روبر بلانشي، نظرية العلم (الإبستمولوجيا)، المصدر السابق، ص11.

Bolzano (نظرية العلم) ، والآخر (لوليام هويل) William Whewell يتعلق بعلوم الطبيعة هو (فلسفة العلوم الاستقرائية)، كما أن الكلمة لم تكن موجودة آنذاك.¹

نلاحظ أن كل هذه الكتب كانت بداية لما نسميه اليوم بالإبستمولوجيا، فهذه الأخيرة وجدت مكانتها الحقيقية مع ما يعرف بأزمة الأسس التي شهدتها العلم الرياضي والفيزيائي في الفكر المعاصر، وعالجت المنطق الرياضي والعلوم الاستقرائية.

كما نجد الأبحاث التي قام بها "ديوغالد ستوارت" بكتابه <فلسفة الذهن البشري> أيضا نلمس ملامح الإبستمولوجيا في دروس الفلسفة الوضعية لأوغست كونت بتحديدده للمرحلة الوضعية العلمية كنظام فكري يخضع للنقد والتمحيص ونتائج معرفية علمية بحتة وكلها كانت تمهيد لما نسميه بالإبستمولوجيا.²

ما نفهمه أن الإبستمولوجيا وإن كانت مصطلح جديد وليد القرن العشرين إلا أن ممارسته النظرية قديمة جدا وتاريخ الفلسفة يشهد على ذلك، كما أن الأبحاث التي خضع لها الفكر المعاصر من نقد وتركيب وتحليل كلها كانت سببا في ظهور الإبستمولوجيا.

إن الرياضي والمنطقي الانجليزي "هوايتهد" (1861-1947م) جمع بين الكفاءة العلمية والتفكير الفلسفي وهو جمع ألحت عليه حالة العلم نفسها، وجعله يتزايد في الندرة التخصص العلمي، إذ تظن مبكرا حينما رأى أن النظريات العلمية المتقدمة لا تتوافق مع النسق النيوتني، وبهذا وجدت نظرية العلم نفسها قائمة كعلم أصيل وهذا الأمر الواقع هو الذي جاء ليكرس تسميتها.³

¹ روبر بلانشي، المصدر نفسه، ص15.

² أحمد حسن، المرجع السابق، ص 153.

³ روبر بلانشي، مصدر سابق، ص16.

أي أن أزمة الأسس التي أثارها نقائص المجموعات ألزمت الرياضيين بأن يعودوا إلى مبادئ علمهم، وبهذا جمعوا بين الكفاءة العلمية والتفكير الفلسفي وهذا الجمع فرضه العلم نفسه، نستنتج أن أزمة الأسس كانت سببا في تسميتها بالإبستمولوجيا.

كما أن الإبستمولوجيا المعاصرة عند "بلانشي" نجدها تستند بأن العقلانية الرياضية تتدرج ضمن تيار مجدد في الفلسفة المثالية ولا شك في أن هذا التيار العقلاني إذ يدرك الهوة التي تفصل الفلسفات المثالية الكلاسيكية، عن العلم المعاصر يحاول أن يزيل هذه الهوة بإقامة موقف جديد.¹

بحيث أن "روبير بلانشي" عمل على نقد العقلانية الكلاسيكية وأبرز أهم معالم عقلانيته الرياضية، وفصل الفلسفات المثالية عن العلم المعاصر، وذلك بهدف إقامة موقف جديد.

كما أنه نقد العقلانية الكلاسيكية، ونقد النزعة التجريبية ونظرتها الوثوقية للعلم السائد آنذاك، ولم يؤيد رد فعلها، كما أنه أظهر معالم عقلانيته الرياضية والتي تدعي بضرورة التكامل بين العقل والتجربة أي الجمع بين ما هو عقلي وما هو تجريبي. وهذا ما يتوافق مع المطلوب الباشلاري الذي ينص على ضرورة تحاور العقل والتجربة.²

نفهم من هذا أن "بلانشي" نقد العقلانية الكلاسيكية بصفة موقفه العقلاني، ولأنها تقر بضرورة إتباع النزعة التجريبية وإهمال العقلية، وينبغي نقدها في نظر بلانشي، لا بفعل جدال فلسفي، بل بفعل تجاوز العلم المعاصر لها تجاوزا موضوعيا والجمع بين ما هو عقلي وما هو تجريبي.

كما قسم "بلانشي" نقده للعقلانية الكلاسيكية وأداتها العقل الكوني الثابت إلى نقدين، الأول سماه النقد الخارجي وجاء عن طريق العلوم ودرس الانسان، وأثبت هذه العلوم من خلال

¹ محمد وقيدي، ماهي الإبستمولوجيا؟، المرجع السابق، ص 434.

² أحمد حسن، المرجع السابق، ص 162.

مسيرتها وتطورها عبر التاريخ تطور الانسان بدنيا ونفسيا وجسميا، وهذا ما ينعكس على عقله. كما اعتمد "بلانشي" في حجته على الدراسات البيولوجيا، وما أنتجه علم النفس التكويني عند "جان بياجى"، وهذا يعتبر نقد العقلانية الكلاسيكية كونها توظف حجة تعتمد عليها العقلانية المعاصرة.¹

بحيث ان "بلانشي" اتخذ من نقده للعقلانية الكلاسيكية حجة للاعتماد عليها في فلسفته المعاصرة وتجاوز كل ما هو تقليدي، إذ أنه درس الانسان وتطوره من جميع الجوانب. إن "روبير بلانشي" كانت فلسفته هي العقلانية المعاصرة، إذ اتخذ الكلاسيكية مدخلا لعرض أطروحاته وذلك بنقدها، بحيث توافقت الكلاسيكية مع نتائج الثورات العلمية أو ما يعرف بأزمة العلم الحديث.²

وفي الأخير نستنتج أن نظرية المعرفة موضوع استقطب حيزا كبيرا ومهما في تاريخ الفلسفة عرف تطورا كبيرا عبر العصور في سعي إلى التوصل ما يسمى بالإبستمولوجيا هو مصطلح استخدم لأول مرة من قبل الفيلسوف من قبل الفيلسوف الإسكتلندي "جيمس فريديريك فريه" وضعه ليعبر عن الخطاب العقلي في المعرفة، بحيث أنه لم يظهر في أي معجم أو موسوعة قبلا، كما أشار "روبير بلانشي" إلى أن مصطلح الإبستمولوجيا جديد نسبيا في الثقافة الفرنسية ولم يظهر في المعاجم المشهورة، فإن ما يخبر به هذا المصطلح هو كذلك حديث ومعاصر، هذا ما جعل التطرق إلى استعمال الإبستمولوجيا يكون حديثا ومعاصرا كما أنها وليدة القرن العشرين حيث ان ممارستها النظرية قديمة وتاريخ الفلسفة يشهد على ذلك.

خلاصة واستنتاجات:

¹ عليوقليع، العقلانية المعاصرة عند روبر بلانشي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم الفلسفة، 2005-2006، ص41.

² أحمد حسن، المرجع السابق، ص161.

نلخص في هذا الفصل إلى مجموعة من النقاط أهمها:

- تغلب الطابع العلمي والفلسفي على حياة "روبير بلانشي" حيث لم يفصل بين حياته العلمية والفلسفية.

- انتقد كل من سابقه في نظرية المعرفة، حيث انتقد العقلانيين في الكلاسيكية وانتقد التجريبيين وجمع بين ما هو عقلي وما هو تجريبي.

- يرى روبير بلانشي أن التفكير القديم في المعرفة عبر العصور له تبشير لما يسمى اليوم بالإبستمولوجيا في الفكر المعاصر.

- نظرية الإبستمولوجيا عند "روبير بلانشي" تستلزم النظر في المعرفة من زاوية تطورها لأنه لا بد لكل معرفة أن تكون نتيجة لمعرفة سابقة، ونقد العقلانية الكلاسيكية للتخلص من التقليدية وجاء بالعقلانية الرياضية المعاصرة.

- يرى "روبير بلانشي" أن نظرية المعرفة العلمية أخذت حيزا كبيرا عبر العصور والتاريخ في الفلسفة وصولا إلى ما يسمى بالإبستمولوجيا اليوم إذ يعتبر هذا الأخير مصطلح جديد ومعاصر.

- تدعو الإبستمولوجيا المعاصرة بوجه عام إلى نقد المعرفة والبحث في نموها بجميع جوانبها التاريخية النفسية والمنطقية وبيان قيمتها وأصلها المنطقي، فقد أصبحت الإبستمولوجيا تنظر إلى المعرفة العلمية نظرة تكاملية.



الفصل الثالث
نقد العقلانية المعاصرة

المبحث الأول: العقلانية الكلاسيكية

المبحث الثاني: العقلانية المعاصرة ونقدها

تمهيد:

عرفنا في الفصل الثاني أصول وتطور الإستمولوجيا وكيف كانت بداياتها بوجه عام وبوجه خاص عند بلانشي، كما أن ابستمولوجيته كانت عبارة عن العقلانية والذي قسمها إلى نوعين عقلانية كلاسيكية، وعقلانية معاصرة وهي في نظره تتماشى مع التطور العلمي والتقني، كما أن مفهوم العقلانية عند "بلانشي" هي العقلانية القائمة على المنحنى العقلي سواء في طبعته التقليدية أو الحديثة، كما ركز على العقلانية الابستمولوجية عموماً والمنطقية خصوصاً،

كما أنها تطورت من مرحلة كلاسيكية كانت تقدر العقل والثقة في مبادئه الصادقة صدقا مطلقا من جهة, ومن جهة ثانية الثقة في قدرته على الإلمام بكل المعارف سواء كانت طبيعية أو رياضية أو حتى ميتافيزيقية, إلى عقلانية معاصرة أعادت النظر في دور العقل من جهة والتشكيك في صدق مبادئه التي يعتمد عليها في اكتساب المعرفة, إضافة إلى التشكيك في قدرته على الوصول إلى كل المعارف, كما أقرت بضرورة تعاونه وتحاوره مع التجربة لكي تكون نتائجه صادقة حتى في العلوم الطبيعية أو التجريبية, وتوظيف الرياضيات كعلم أساسي في بناء أية معرفة.

ومنه سندرس في المبحث الأول العقلانية الكلاسيكية ونقدها وكذا نقد العلوم العلمية للعقلانية, أما في المبحث الثاني سندرس العقلانية المعاصرة وخصائصها ونقدها.

المبحث الأول: العقلانية الكلاسيكية

إن العقلانية الكلاسيكية تنطبق على أنماط كثيرة من التفكير الفلسفي القديم, أو عند المسلمين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية عموما والمشائية خصوصا, كما أن نظام العقلانية الكلاسيكية يعطي مدلولاً ثابتاً لمفهوم العقل يستبعد ما لا يتوافق مع تناسباته ومغالقاته مما يضيق ويفقر مفهوم العقل ذاته.

ومن هنا سنبين في هذا المبحث نقد العقلانية الكلاسيكية و نقد العلوم العلمية للعقلانية.

المطلب الأول: نقد العقلانية الكلاسيكية

إن "بلانشي" انتقد العقلانية الكلاسيكية واعتبر التطرق إليها تطويلا مملا لا فائدة منه, مضيفا إلى أن التطرق إليها كان منهجيا ووسيلة للوصول إلى تحديد خصائص العقلانية المعاصرة.

إن "بلانشي" نقد العقلانية الكلاسيكية ونقد نظرتها الوثوقية للعلم السائد آنذاك لأنها كانت تسلم بعقل كلي وواحد في العصر الحديث خاصة العقلانية الديكارتية التي تقر بفطرية المعرفة وأزليتها, وكذا العقلانية الكانطية التي تتبنى قبليتها بخلاف النزعة التجريبية الحسية التي ترفض فطرية المعارف وقبليتها.¹

أي أن العقلانية الكلاسيكية تؤمن بعقل واحد أي ترفض الحس لذا نقدها "روبير بلانشي".

أراد "بلانشي" أن ينتقد ويتجاوز العقلانية القبلية والتي كان من أتباعها ديكارت واعتبر العقل فطريا لذلك سماها "بلانشي" بالعقلانية الفطرية, كما أن كانط انتقد هذا الموقف وحاول أن يتساءل عن قدرة العقل, لهذا ألف كتابه المشهور "نقد العقل الخالص" أي إبراز النقص الموجودة في العقل من حيث مبادئه ومعارفه ومن حيث محدوديته, ونقده هذا كان بنائيا لأنه حاول أن يجعله كاملا.²

أي أنه نقد قدرة العقل بوجه عام التي تتعلق بكل المعارف التي يطمح إليها بعيدا عن التجربة وبهذا يكون قد حل مشكلة عدم إمكان قيام ميتافيزيقا بوجه عام.

أحمد حسن، المرجع نفسه، ص 162

علي بوقليع، العقلانية المعاصرة عند روبير بلانشي (وتطبيقها على المنطق)، مرجع سابق، ص 261.

إن العقل الكانطي هو عقل محدود ومؤقت في المواضيع الميتافيزيقية، كما أنه يستمد مبادئه ومعارفه قبل احتكاكه بالواقع والملاحظة والتجربة، إذ هو ينتقد نفسه بنفسه، كما يرى "بلانشي" أن النقطة المشتركة بين العقلانيتين هو اعتقادهما بوجود عقل ثابت وكامل ونهائي يستعمل في تلقي المعرفة.¹

من خلال ما سبق يتضح أن العقلانية الكلاسيكية كانت خليطاً من العقلانية الميتافيزيقية والدينية والعقلانية الفلسفية، وكلها ترى أن العقل الكوني ثابت ونهائي.

المطلب الثاني: نقد العلوم العلمية للعقلانية

إن العلوم العلمية درست الإنسان وفكره وتطوره بدنياً وجسدياً ونفسياً واجتماعياً، إذ أن هذا انعكس على عقله وتأثر بهذه التبدلات والتحويلات والتغيرات، كما اعتمد "بلانشي" في حجته هذه على الدراسات التي قدمتها البيولوجيا على يد كلود برنارد وتعتبر هذه نقداً للعقلانية الكلاسيكية كما توظف في كونها حجة تعتمد عليها العقلانية المعاصرة، ومن هنا سنرتب نقد هذه العلوم حسب ظهورها تاريخياً واستقلالها عن الفلسفة، فنذكر الرياضيات ثم المنطق:

- الرياضيات: تعتمد الرياضيات الكلاسيكية على المبادئ الثلاث هي البديهيات والمسلمات والتعريفات، كما أن موضوعها هو الحكم المتصل والمنفصل. إذ تطور الرياضيات كان وما يزال على مستوى الموضوع والمنهج والنتائج والأسس، أي من رياضيات واحدة إلى رياضيات متعددة ومن رياضيات تطبيقية إلى رياضيات بحثية، وأيضاً تطوراً من موضوع معين إلى مواضيع اعتقد أنها تمثل قمة تطور الرياضيات، إذ أن هذا التطور نزع الصفات والخصائص من حيث المطلقة وظهرت هندسات أخرى، كما أن الموجودات الرياضية عند "بلانشي" ليست تلك التي تنطبق على الوقائع المادية مثل العد الحسي أو المثلث المادي،

المرجع نفسه، ص 64.¹

كما يوجد اختلاف حول تحديد طبيعة هذه الموجودات من خلال مسيرة الرياضيات عبر التاريخ.¹

نلاحظ أن هناك تطورا في الرياضيات على مستوى المنهج والمواضيع الرياضية، إذ أن هذا التطور كان من التجسيد إلى التجريد، بحيث اختلفوا في تحديد طبيعة الموجودات الرياضية في مسيرة الرياضيات.

- المنطق: إن مبادئ العقل ضرورية للمنطق كضرورة الأوتار العصبية للمشي، وبالتالي أورد "بلانشي" أن هذه المبادئ لم تكن ثابتة وكاملة في كل زمان ومكان بل تطورت عبر مراحل تطور المنطق، كما أن بعد التطور العلمي أدى إلى مراجعة مبادئ العقل والتوصل إلى أنه لا توجد حقائق مطلقة وأعادوا النظر في مفهومها، ولتتماشى مع التطور العلمي عليها ألا تكون جامدة ومتوقفة على مبادئها وشروطها وبالتالي يجب إعادة قراءتها والشك فيها.² أي أن مبادئ العقل ضرورية للمنطق وبالتالي لم تكن ثابتة على مبادئها وشروطها وهذا ما أدى على الشك فيها ونقدها من طرف بلانشي ودفعه إلى القول بالعقلانية المعاصرة.

المبحث الثاني: العقلانية المعاصرة ونقدها

إن العقلانية المعاصرة سميت هكذا لأنها أرادت أن تتجاوز العقلانية الكلاسيكية وتحل محلها، كما أنها تتماشى مع التطور العلمي الواقع في عصرنا الحالي، إذ أنها مضت نحوها محيطات غير مستكشفة ولم تقتصر على نقد العقل في جوانبه ولا نقد اللغة والمجتمع والدين والاقتصاد والايديولوجيا في أبعادها القيمية بل رصدت دلالات الثورات العلمية، بينما تسميها مدرسة فرونكفورت ممثلة ب"هابرماس" وصديقه "كارل أتو آبل" بالعقلانية الغائية الأدواتية والاستراتيجية، إضافة إلى العقلانية الوظيفية ذلك لأنها تؤمن بفعالية العقل.

علي بوقليح، مرجع سابق، ص 65، 67.¹

المرجع نفسه، ص 72، 74.²

وهذا ما سنوضحه في المطلب الأول مفهوم العقلانية المعاصرة وخصائصها أما المطلب الثاني سنبين نقد الفلاسفة لها.

المطلب الأول: مفهوم العقلانية المعاصرة وخصائصها

إن العقلانية المعاصرة هي نتيجة التطور الذي حدث في العلم, فالعقلانية كفلسفة وكمنهج إنما هي نتيجة الثورة العلمية, كما أنها عقلانية فلسفية مطبقة, تقوم على ضرورة امتلاك يقين مزدوج يجعل الواقع خاضعا لما هو عقلي.

إن العقلانية المعاصرة هي تبعد فكرة المعارف الفطرية كما أنها تحدد القبلي في بعض قواعد وفهم واستغلال المعطى التجريبي, وتحافظ على ثبات العقل رغم تغيير المضامين الذي سينظر إليه من الآن فصاعدا على أنه مجرد عقل مبنين.¹

أي أن العقلانية المعاصرة تحدد المفاهيم القبلية في بعض القواعد والدراسات, كما أنها تحافظ على ثبات العقل.

فالعقلانية المعاصرة هي نتيجة تطور العلم المعاصر ونتيجة إفرزات الثورة العلمية, كما أنها تقوم على فعالية العقل وتعطيه دورا كبيرا في بناء المعرفة وتقوم على الحوار بين العقل والتجربة.²

وانطلاقا من التسمية ومفهومها نستخلص عدة خصائص نذكر منها:

- أنها تقوم على النقد حيث أنه انتقد الفلسفة الواقعية, والفلسفة الوضعية, كما انتقد العقلانية الكلاسيكية.

محمد وقيدي, ماهي الاستمولوجيا؟, مرجع سابق, ص438.¹

علي بوقليع, العقلانية المعاصرة عند روبير بلانشي (وتطبيقها على المنطق), مرجع سابق, ص83.²

إذ أنه في نقده هذا ركز "بلانشي" على موقفهما في موضوع المعرفة وموقفهما من دور العقل وموقفهما من دور الرياضيات في الفيزياء.¹

أي أن نقد "بلانشي" لموضوع المعرفة هو النقد نفسه الذي قدمه العلم المعاصر, إذ أن عقلانيته تميزت بالنقد والتحليل.

- إن العقلانية المعاصرة تقوم على فعالية العقل بحيث له دور كبير في بناء المعرفة العلمية وهنا هي تخالف العقلانيات التي انتقدتها, كما أن العقلانية المعاصرة تميزت على حد تعبير "بلانشي" أن العقل يبني المعرفة والمعرفة تشكله وتكونه أي أن هناك جدلا في العلاقة بين العقل والتجربة.²

أي أن العقلانية المعاصرة تركز على العقل وتعطيه دورا في بناء المعرفة, أي أنه لا يمكن فصلها عن السياق الفلسفي العقلاني.

المطلب الثاني: نقد العقلانية المعاصرة

إن عقلانية "بلانشي" و"باشلار" انتقدوا العقلانيات السابقة بحجة أنها كلاسيكية فتجاوزها التطور العلمي, وكان منهجها نقديا وبنائيا, ولكن جاءت مدرسة فرانكفورت وهابرماس خصوصا سماها بالعقلانية الأدوات الغائية ونقدتها وجاء بعقلانية تواصلية, وبسبب أسلوبهم النقدي فهم يلغون أنفسهم.

ومن هنا يمكن أن نذكر بعض النقد الموجه للعقلانية الأدواتية:

¹ المرجع نفسه, ص 84.

² المرجع نفسه, ص 87.

إن العقلانية الأدواتية الغربية تسعى إلى توفير الحاجيات الطبيعية والمادية للإنسان, كما أنها تستجيب للمتطلبات المادية للحياة فقط وهذا ما جعلها تصبح عبدا لهذه الصرامة لأنها تحد وتقلص من تفكير الإنسان ونشاطه, وفي نظر هابرماس فالعقلانية بهذه الأوصاف لا تعبر بحق عن الحداثة ولهذا تبنى عقلانية سماها "العقلانية التواصلية".¹

أي أن هابرماس نقد العقلانية الغربية لأنها لا تعبر عن التطور والحداثة وذلك بسبب أنها تحدد تفكير الإنسان, كما أنها أيضا تعطي الأولوية للعقل الغائي أي الذي يستهدف تحقيق مصالح وغايات معينة.

إن نقد "هابرماس" لهذه العقلانية لا يعني أنه يرفضها كليا بل هو يحاول الانتقال من نمط للفكر الموجه لغاية معينة إلى نمط للفاعلية موجه نحو التفاهم, ومن ثم تحويل البحث من عقلانية غربية أدواتية إلى العقلانية التواصلية.²

وفي الأخير نستنتج أن نقد هابرماس للعقلانية المعاصرة أي الأدواتية هدفه تغيير اتجاه الفكر الفلسفي من فكر يهتم بالغايات المعينة والموضوعات إلى فكر يهتم بقضايا التفاهم بين الناس القادرين على الكلام وعلى الفعل.

خلاصة واستنتاجات:

نلخص في هذا الفصل إلى مجموعة من النقاط أهمها:

- أن "روبير بلانشي" نقد العقلانية الكلاسيكية متجاوزا الفلسفة التقليدية, وقام ببناء عقلانية معاصرة تتماشى مع التطور العلمي, نتيجة إفرزات الثورة العلمية.

علي بوقليع, مرجع سابق, ص 90.¹

علي بوقليع, مرجع سابق, ص 91.²

- كما انه نقد العلوم العلمية للعقلانية حسب ظهورها تاريخية وبدأنا بالرياضيات ثم المنطق.
- إن العقلانية المعاصرة كانت نتيجة التطور الذي حدث في العلم, ونتيجة إفرزات الثورة العلمية.
- نقد "هابرماس" العقلانية المعاصرة وكان هدفه تغيير اتجاه الفكر الفلسفي من فكر يهتم بالغايات المعينة إلى فكر يهتم بالتفاهم.

الخاتمة

وفي نهاية بحثنا وختاماً لدراساتنا التي كانت حول فكر "روبير بلانشي" وطرحه لأصول وبوادر الإبستيمولوجيا، التي شكّلت تشكّلتا بين جذورها الفلسفية من جانب وبين علاقاتها المباشرة الحالية مع العلم من جانب آخر، إن الإبستيمولوجيا مازالت أحد فروع الفلسفة، فحاولت أن تستقل عن العلم وتصبح علماً متميزاً بنتائجه، ولهذا السبب مازال المشتغلين بالإبستيمولوجيا منقسمين بسبب مسألة انتماء الإبستيمولوجيا وأصولها، كما أننا نجد علاقتها بالعلم عبارة عن نشاط موضوعه العلم نفسه، كما أن انقسامهم كان بصدد بعض المشكلات الفلسفية نتيجة طبيعة أبحاثهم، فالباحث لن يتخلص في الإبستيمولوجيا من هذا المشكل، بحيث يستطيع أن يخفف من حدة العبارة الأولى، فالجهود التي بذلها الباحثون في ميدان الإبستيمولوجيا للانتقال من المستوى الفلسفي إلى العلمي الموضوعي بواسطة الحوار الإبستيمولوجي.

لقد أفضى بنا البحث بعد التحليل إلى مجموعة من النتائج نذكر أهمها كالتالي:

* عرف "روبير بلانشي" الإبستيمولوجيا على أنها عبارة عن عملية نقدية للمعرفة ومبادئ العلوم، كما أنها تعتبر مصطلح جديد بحيث ممارسته النظرية التاريخية قديمة، ولها امتدادات تمتد إلى الفترة اليونانية ثم الفترات الأخرى وصولاً إلى الفترة المعاصرة، بحيث إن الإبستيمولوجيا عرفت تطوراً جذرياً على مر العصور، وهذا كان اهتمام جل الفلاسفة ونخص "روبير بلانشي" الذي اهتم ببدايات وبوادر الإبستيمولوجيا عبر العصور.

* وتناولنا في بحثنا هذا أهم المقاربات المفاهيمية في الفكر المعاصر، بحيث اختلفت آراء الفلاسفة المعاصرين والباحثين في مدلول مصطلح الإبستيمولوجيا من لغة إلى أخرى واختلفوا بخصوص دراساتها وموضوعاتها وحدودها، إذ تشكّلتوا في ضبط مفهوم واضح لهذا المصطلح فنجد "روبير بلانشي" عرفها على أنها مرادفة لنظرية العلم وهي مصطلح جديد وحديث، أما بالنسبة إلى "باشلار" فهو يرى بأنها تعبر عن موقف فلسفي جديد تهدف إلى تجاوز الموقف

الفلسفي التقليدي، وعلى خلاف ذلك فقد جمع "بياجي" بينها وبين علم النفس، حيث نظر إليها على أنها نظرية بنائية تكوينية، وسميت ابستمولوجيتها بالإبستمولوجية التكوينية، وهذه الأخيرة تدرس المعرفة في السياق العلمي بعيد عن النظرة التقليدية بالاعتماد على المنهج التكويني، ثم عرجنا على المفكر المغربي "محمد وقيدي" الذي كان متأثراً في كتاباته الفلسفية بـ "باشلار" و"بياجي"، إذ انه لم يقدم تعريفاً معجمياً لها، فاعتبرها دراسة نقدية تبحث في المناهج والأسس والنتائج، كما اهتم بمهام التفكير الفلسفي.

* وقد واجهت الإبستمولوجيا مشاكل ذات طابع خاص وذات طابع عام، بحيث ان المشكلات الإبستمولوجية هي مشاكل الإبستمولوجيا الداخلية أي التي تواجه كل عالم وفيلسوف في تخصصه فيقوم بحلها بطريقة الخاصة، ومن بين المشاكل الإبستمولوجيا هي تصنيف العلوم وتقسيمها ومشكلة اختلاف مدلول مصطلح الإبستمولوجيا.

* كما أن هناك من يرى أن الإبستمولوجيا علم قائم بحد ذاته يتطلب نتائج أي علم المتمثلة في الموضوع والمنهج، الأول نتج عنه تداخل مفهومها مع نظرية المعرفة وفلسفة العلم، والثاني نتج عنه تداخل بين نظرية العلم ونظرية المناهج، وعلاقتهم بالإبستمولوجيا.

* واهم ما طرحته في بحثي هذا فكر "روبير بلانشي" والطرح الذي قدمه حول أصول الإبستمولوجيا، فـ "روبير بلانشي" فيلسوف منطقي وابستمولوجي معاصر تمثلت فلسفته في العقلانية الرياضية المعاصرة، بحيث نقد العقلانية الكلاسيكية وعمل على تجاوز مزالقها، كما أن "روبير بلانشي" طرح فكره الذي تناول بداية الإبستمولوجيا من العصور القديمة حتى العصر المعاصر، بحيث إن المعرفة تطورت عبر العصور، ودراسة موضوعاتها وفرضياتها ونتائجها بواسطة النقد والتحليل والتركيب، إذ ان كل ذلك كان عبارة عن تمهيد وتبشير لما يسمى اليوم بالإبستمولوجيا، وهذه الأخيرة مصطلح جديد إلا أن دراساتها النظرية قديمة

ونلاحظ ذلك من خلال دراسة كبار الفلاسفة القدامى عبر التاريخ من الفترة اليونانية حتى الفترة المعاصرة.

* كما أن "روبير بلانشي" أخذ موضوع نظرية العلم ودرسه دراسة تحليلية واهتم بأصول الإبستيمولوجيا وتطورها التاريخي من العصر القديم حتى العصر المعاصر، بحيث فلسفته تمثلت في نقده للعقلانية الكلاسيكية وتجاوز الفلسفة التقليدية وجاء بالعقلانية الرياضية المعاصرة بحيث جمع بين ما هو عقلي وما هو تجريبي.

ولذلك يمكن القول إن "روبير بلانشي" من كبار فلاسفة الفكر المعاصر وأحد أهم المعاصرين في الإبستيمولوجيا التي أخذت حيزا كبيرا في العصر المعاصر.

وفي الختام فإن ما بذلناه من جهد في محاولة الإحاطة بموضوعنا "أصول الإبستيمولوجيا عند "روبير بلانشي"، وسد بعض الثغرات والإحاطة بجميع جوانب الموضوع.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. روبير بلانشي، الاستدلال، تر: محمود يعقوبي، دار الكتاب الحديث، د ط، 1973.
2. روبير بلانشي، الأكسيومية أو منظومة الأوليات، تعريب: محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، صفاقس - تونس، ط1، 2004.
3. روبير بلاشي، العقل والخطاب دفاع عن المنطق الفكري، ترجمة: محمود يعقوبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2010.
4. روبير بلانشي، نظرية العلم (الابستمولوجيا)، ترجمة: محمود يعقوبي، د م ج، بن عكنون - الجزائر، ط1، 2004.
5. روبير بلانشي، نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)، تر: دكتور حسن عبد الحميد، مطبوعات الجامعة، د ط، الكويت، 1986.

ثانياً: المراجع

1. السيد شعبان حسن، برونشفيكوباشلار بين الفلسفة والعلم دراسة نقدية مقارنة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1993.
2. أحمد حسن، نظرية العلم والعقلانية الرياضية عند روبير بلانشي، الفلسفة الفرنسية المعاصرة جدل التموقع والتوسع، تأليف: مجموعة باحثين، إشراف: سمير بلكفيف، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015.
3. أحمد ملاح، المختصر في تاريخ الإبستمولوجيا، مختبر الفلسفة وتاريخها، دار القدس العربي، وهران-الجزائر، د ط، 2010.
4. بول موي، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة: فؤاد حسن زكريا، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1961.
5. تدهوندترتش، دليل أكسفورد للفلسفة، ج1، ترجمة: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، الجمهورية العربية الليبية، 2003.

قائمة المصادر والمراجع

6. جمال بوغالم، ابستمولوجيا باشلار بين الفلسفة والعلم، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، العدد 21، جانفي 2019.
7. داود خليفة، ابستمولوجيا التعقيد دراسة لبرادغيم التعقيد والفكر المركب لدى ادغر موران، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2016/2015.
8. زكي نجيب محمود، حصاد السنين، دار الشروق، مصر، ط6، 2018.
9. شهرزاد بوقراط، الإبستمولوجيا في فكر "هنري بوانكاريه" دراسة تحليلية نقدية، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، 2001_2002.
10. عبد القادر بشته، الإبستمولوجيا، مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1995.
11. عبد القادر لورسي، الدليل فيالابستمولوجيا وتدریس العلوم، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 2007.
12. عبد الكريم عبد الكريم، تاريخ أرسطو، رؤيا بيديا، المحرر: أحمد عكاش، الرابط: Roayapedia.org/index.php.
13. عليبوقلين، العقلانية المعاصرة عند روبير بلانشي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم الفلسفة، 2005-2006.
14. عيسى رفاص، التفسير الإبستمولوجي للواقع الفيزيائي عند روبير بلانشي، مجلة دراسات، جامعة الجزائر 02، العدد 10 (المجلد 6)، 2019.
15. غاستونباشلار، إبستمولوجيا (نظرية المعرفة)، ترجمة: درويش الحلوجي، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1، 1998.
16. محمد ثابت الفندي، فلسفة الرياضة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1969.
17. محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط5، 2002.

قائمة المصادر والمراجع

18. محمد عوض الترتوري:الاتجاهات الإستمولوجيا السائدة لدى طلبة السنة أولى المشتركة في جامعة ملك سعود،مجلة كلية التربية،العدد 182، ج1، جامعة الأزهر، مصر،2019.

19. محمد فتحيا الشنيطي،المعرفة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط4، 1971.

20. محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال، دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، د س، دط.

21. محمد صقر حقاچه،النقد الأدبي عند اليونان من هوميروس إلى أفلاطون، ج1، مكتبة أنجلو المصرية،م صر،دط، 1981،ص187.

22. محمد وقيدي، جراءة الموقف الفلسفي، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.

23. محمد وقيدي، ماهيا لإستمولوجيا؟، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط2، 1987.

24. محمود زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية، د ط، 2012.

25. مريم سليم، علم تكوين المعرفة - ابستمولوجيا بياجيه، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 2002.

26. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار المحرر الأدبي، مصر، د ط، 1958.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

1. أندريه لالاند،موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.

2. بيتر كونزمان وآخرون، أطلس الفلسفة،تر:جورج كتورة، المكتبة الشرقية،بيروت، لبنان، ط2، 2007.

3. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2004.

4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982.

قائمة المصادر والمراجع

5. رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، ج1، دار المحجة البيضاء، بيروت- لبنان، ط1، 2013.
6. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984.
7. محمود يعقوبي، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008.
8. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2007.
9. André Lalande, vocabulaire technique et critique de la philosophie, P.U.F, paris,France, 5eme éd, 1999.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول: ماهية الإبتيمولوجيا

- المبحث الأول: الإبتيمولوجيا مفهومها وأهم مشكلاتها..... 10
- المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للإبتيمولوجيا..... 10
- المطلب الثاني: أهم المقاربات المفاهيمية للإبتيمولوجيا في الفكر المعاصر..... 16
- المطلب الثالث: أبرز المشاكل الإبتيمولوجيا..... 27
- المبحث الثاني: علاقة الإبتيمولوجيا بالمجالات المعرفية الأخرى..... 31
- المطلب الأول: علاقة الإبتيمولوجيا بنظرية المعرفة..... 32
- المطلب الثاني: الإبتيمولوجيا وفلسفة العلوم..... 34
- المطلب الثالث: الإبتيمولوجيا وعلم المناهج..... 37
- الخلاصة..... 39

الفصل الثاني: بدايات الإبتيمولوجيا عند روبير بلانشي

- المبحث الأول: التعريف بروبير بلانشي وأهم فلسفته..... 43
- المطلب الأول: حياة ومسيرة الفيلسوف روبير بلانشي..... 43
- المطلب الثاني: فلسفة روبير بلانشي..... 45
- المبحث الثاني: الإرهاصات الأولية والتطور التاريخي للإبتيمولوجيا..... 46
- المطلب الأول: الإبتيمولوجيا في العصر القديم..... 46
- المطلب الثاني: الإبتيمولوجيا في العصر الحديث..... 53
- المطلب الثالث: الإبتيمولوجيا في العصر المعاصر..... 59
- الخلاصة..... 63

الفصل الثالث: نقد العقلانية المعاصرة

- تمهيد:..... 66
- المبحث الأول: العقلانية الكلاسيكية..... 67
- المطلب الأول: نقد العقلانية الكلاسيكية..... 67

المطلب الثاني: نقد العلوم العلمية للعقلانية.....	68
المبحث الثاني: العقلانية المعاصرة ونقدها.....	70
المطلب الأول: مفهوم العقلانية المعاصرة وخصائصها.....	70
المطلب الثاني: نقد العقلانية المعاصرة.....	72
خلاصة واستنتاجات:.....	73
الخاتمة.....	75
قائمة المصادر والمراجع.....	79

المخلص:

روبير بلانشي فيلسوف معاصر، له أفكاره وآرائه في مجال المعرفة والإبستمولوجيا تجرأ في استخدام فهمه الخاص، حيث كان نقده نقداً بناءً، حاول من خلاله الوصول إلى حقيقة المعارف وأصول الإبستمولوجيا دون أن تكون محل شك أو خطأ، إلا أن قيمة نظريته النقدية تجلت في كونه حارب العقلانية الكلاسيكية متجاوزاً الفلسفة التقليدية، فعرفت عقلانية روبر بلانشي بالعقلانية الرياضية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: إبستمولوجيا، ميتافيزيقا، النقد، نظرية المعرفة، العلوم.

Summary

Robert Blanche est un philosophe contemporain avec des idées et des opinions dans le domaine de l'épistémologie. Il a osé utiliser sa propre compréhension, car sa critique était constructive, à travers laquelle il a essayé d'atteindre la vérité de la connaissance et les origines de l'épistémologie sans être dans Cependant, la valeur de sa théorie critique s'est manifestée Parce qu'il a combattu le rationalisme classique en contournant la philosophie traditionnelle, le rationalisme classique en contournant la philosophie traditionnelle, le rationalisme de Robert Blanche était connu sous le nom de rationalité mathématique contemporaine.

Key quantities: epistemology, metaphysics, criticism, epistemology, science.